شِعْرُ الشَّيْخ هَادِي الخَفَاجِيّ الكَرْبَلائِي

-دراسة في الأداء الموضوعي-

The Poetry Of Šayḫ Hādī Al- Ḫafāğī Al- Kerbalāʾī.

A study In The Objective Performance.

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

م.د. جواد عودة سبهان

جامعة أهل البيت عليهم السلام/ كلية الآداب

By:-

Asst. Prpf. Dr. Falāḥ ʿAbid ʿAlī Sirkāl.

University Of Kerbala

College Of Education For Human Science

And

Lec. Dr. Ğawād ʿŌda Sabhān.

Ahl Al- Bayt University/ College Of Arts

السنة العاشرة/المجلد العاشر/العددان الأول والثاني(٣٥ – ٣٦)
ذو الحجة ١٤٤٤هـ/ حزيران ٢٠٢٣م

الملخص

يُمثل هـذا البحث قراءة كاشـفةً لمنجز شـعري كربلائي مُهم، لَمْ تُسـلَّط علـى كثيرٍ مـن جوانبه عدسـة الضـوء والدراسـة؛ ألا وهو ديـوان الخطيب الشـيخ هـادي الخفاجي الكربلائي، هذا الاسـم الذي كانت لـه اليد الطولى في مجال الخطابة، والشـعر، والبيان، وكان في طليعة الشعراء الذين أسهَمُوا إسْـهَامًا فَاعِـلًا في إثراء الحَيَاةِ الأدبيَّة، وإيقاد شـعلتها فـي كربلاء إبان القرن العشـرين. وانطلاقًا ممّا تقـدّم جاءت رغبة الباحثين في تسـليط الضوء على أهم الموضوعات الشـعرية التي نظمها الشـاعر في ديوانـه، وذلك في ضوء تقسـيم البحث على مطالب مُتعـدّدة، تناولنا في كل مطلب منها موضوعًا من الموضوعات الشعرية التي طرقها الشاعر.

الكلمات المفتاحية: الشعر الكربلائي –الشيخ هادي الكربلائي– الأداء الموضوعي

Abstract

This study aims to clarify one of the most important Kerbalāian poetic achievements which has never ever been studied. These are the collection of poems of Al- Ḫaṭīb Šayḫ Hādī Al- Ḫafāğī Al- Kerbalāʾī. This person had too much efforts in the field of rhetoric, poet and communication. In addition, Al- Kerbalāʾī was in the vanguard of those who had big participation in the literary life and motivated the literature of this city in the Twentieth Century. For this reason, the two researches have tried to highlight the prominent poetic objectivity in the collection of this poet rhythms. Thus, the article is divided into several topics. Each one is majored in a specific theme.

Key Words:- The Kerbalāʾian poetry, Šayḫ Hādī, Al- Kerbalāʾī, The Objective Performance.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدّمة

الحمـدُ لله كلّمـا وقَبَ ليلٌ وغَسَـقَ، والحمـدُ لله كلّما لاحَ نجـمٌ وخَفَق، والحمدُ لله كلّما ضاءَ نورٌ وشَفَقَ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ عبدِهِ ورسولِه، أوضح بقرآنه الدليل، وأنار بنوره السبيل، صلّى الله عليه وآله شموس الإمامة، ومعادن الكرامة، وعلى صحبه المنتجبين.

أما بعد؛ فرُبَّما لا نُغالي إذا قلنا إنَّ الشعر الكربلائي قد توافر على خصائص الشـعر المهمة التي جعلته شـعرًا يُعتدُّ به، ويحظى بمنزلةٍ رفيعةٍ، ويبلغَ شأوًا مِن الجَودةِ والغزارَةِ والتَّنوّعِ، ويقف شامِخًا يصوِّرُ مجالات الحياةِ المُختلفةِ، ويُعبِّر عن نَوازع الشعراء في شَتّى ميادين الحياة.

هـذهِ المدينة التي أنجبتْ عَدَدًا غير قليلٍ من الشـعراء الكبار، مِمَّن كان لهُ سَـهمٌ نَافِذٌ في مَضَارب الأَدبِ، والبَلاغَةِ، والبَيَانِ، وأَسْـهموا في رَفدِ الحَرَكَةِ الشعريّة، وتَرَكوا بَصَمَاتهم الواضحة على الأَدَبِ العربي بصورة عامة، وعلى الشعر الشيعيّ بصورة خاصّة.

فمدينة كربلاء واحدة من المدن العربية والإسـلامية الخالدة التي أنجبتْ طائفةً كبيرةً من رجال العلم والفكر والأدب، ومن بين أولئك الرجال الشـيخ الخطيب هادي الخفاجي الكربلائي المُتوفّى سـنة ١٩٩٢م، الذي ظل اسمه لامعًا فـي ميدان الخطابة الحسـينية إلى يومنا هذا، إذ يُعـدُّ مـن الأدباء الذين تركوا أثرًا واضحًا على الخطابة والشـعر الحسـيني؛ وذلك بتسـخير موهبته الأدبية في الشعر والخطابة لخدمة قضية الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ومـن هنا جـاءت رغبة الباحثينِ في تسـليط الضوء على ديوانه الشـعري؛ إذ انطوى شـعرُهُ على موضوعات شـعريّة تستحق الدراسـة والوقوف عندها وإجلائها للقارئ.

ولهـذا اقتضت طبيعة البحث أنْ يُقسـم على نقاط مُتعـددة، اختصَّت كلُّ نقطة بموضوعٍ من الموضوعات الشـعريّة التي نظمها الشـاعر، في حين كان المطلـب الأخير جامعًا لمجموعة مـن الموضوعات التي كانت قليلة الورود فـي الديـوان، وقد سُـبِقت تلك المطالـب بتمهيدٍ اختـصَّ بالتعريـف بحياةِ الشـاعرِ، ومنزلتهِ الاجتماعيّة والأدبيّةِ، ومن ثُمَّ خُتِمَ البحث بأهمِّ النتائج التي توصّل إليها، وقَائمَةٌ بالمَصَادِرِ والمَرَاجِعِ التي شـكّلت المظان الرئيسـة التي استند إليها البحث.

التمهيد

سيرة حياة الشاعر، ومنزلته الاجتماعيّة والأدبيّة

هو الشيخ هادي بن صالح بن مهدي بن درويش، من بيت (آل عجام) الخفاجيّ، وُلِدَ الشاعر في بغداد بمحلَّة الشيخ بشّار في دار جدّهِ لأُمّهِ سنة ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ.

نشأ الشاعر وترعرع في أحضان والديه نشأةً صالحة في بيتٍ عُرِفَ بالعلم والمعرفة والتصدّي لدراسة العلوم الدينيّة، فتعهّده والده الذي كان أحد أعيان عصره بالتربية الدينية، وتعليم القرآن الكريم، وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، فكان والده يشجعه على طلب العلم، وله الفضل الأكبر في إرشاده، وتثقيفه، وتوجيهه، فنشأ نشأةً علميةً منذ نعومة أظفاره، وهذا كان في بغداد قبل أن يسكن كربلاء ويكمل دراسته فيها.

ثُمَّ انتقل إلى كربلاء فدخل مدرسة الصّدر الأعظم، والمدرسة الزّينبيّة، فدرس على جماعة من أعلام كربلاء وعلمائها منهم: الشيخ محمد الخطيب الذي درس عليه علوم العربية وعلوم الدّين، وقرأ شرح (قطر الندى) و (ألفية ابن مالك) على الشيخ محمد المعماري بمدرسة العلّامة الخطيب الرسميّة، فأتقنَ العربية وبرعَ في فنونها وأسرارها، واتّصل بأدباء عصره، وأعيان زمانه، وراح يرتاد الأندية الأدبيّة، وحلقات العلوم المتنوّعة، ويجالس العلماء، حتى تخرّج خطيبًا مفوّهًا، وأديبًا شاعرًا لَمَعَ نجمُهُ في سماء الخطابة والشعر، وذَاعَ صيتُهُ في آفاقها[1].

(١) يُنظر: الشيخ هادي الكربلائي (مدرسة المنبر الحسيني): ١٢١، ١٧٠.

ولم يكن الشعر هو الهويّة التي تُعرِّف بالشيخ هادي الكربلائيّ، وتُقدِّمه للجماهير؛ وإنّما الشعر كان العنوان الثاني له، ولو أنّه تحرّك من خلال الشعر وحده لاستطاع أنْ يكتسب السمعة والمنزلة الاجتماعيّة أيضًا، بل عُرِفَ الشيخ هادي الكربلائيّ خطيبًا بارعًا ومفوّهًا بين الأوساط الجماهيرية، قبل أنْ تتعرَّف عليه شاعرًا.

وقد تميّز شعر الشيخ هادي الكربلائيّ بسهولة الألفاظ، وبريق الكلمات، وإشراق الديباجة، والبُعد عن التّكلُّف والتَّعسُّف، تعشقه الآذان قبل الأذهان، فهو يُعنى كثيرًا بأناقة قصائده، وتلوين أشعاره بمسحة مُترفة؛ وشعره – في الغالب – اتّسم بالتقليد الفنيّ، ومتابعة الشعر العربي القديم[1].

نظم الشيخ الكربلائيّ الشعر بنوعيه الفصيح والعامّيّ (الدّارج)[2]، وكان شأنه شأن أدباء عصره يستثمر المناسبات الدينيّة والاجتماعيّة لينظم فيها أغلب أبيات شعره، فكثيرٌ منها نظمها ارتجالًا وعلى البديهة في المناسبات التي تستدعي منه مشاركة الآخرين، كتأبينِ فقيدٍ، أو تهنئةٍ في زواج أو ولادة، أو مشاركة في عزاءٍ، أو مداعبة صديقٍ وغير ذلك، فكان أغلب شعره مستمدًا من الحياة اليوميّة وتجاربه الشخصيّة، فهو بمثابةِ سجلٍّ لأحداث عصره؛ ولهذا عُرِفَ بتنوّع مضامينه، وتعدد أغراضه، وكان يجري على لسانه مجرى السهل المُمتنع[3].

وقد وصفَ شعره بالنّمطيّة التقليديّة للشعر العربي القديم، وأنَّ الطابع الدينيّ هو السمة الغالبة عليه؛ إذ أوقف أغلب شعره على رثاء أهل البيت عليهم السلام ومديحهم وبيان مصائبهم ولاسيما فاجعة كربلاء وما يتعلّق بها.

(١) يُنظر: الشيخ هادي الكربلائي (مدرسة المنبر الحسيني): ١٢١-١٢٢.

(٢) للوقوف عند نماذج من شعره العامي ينظر: الديوان: ١٨٩-٢٣٤.

(٣) للوقوف عند شواهد من شعره المُرتجل في بعض المناسبات يُنظر الديوان: ٧٣-١٤٤.

أجاد الشيخ هادي الكربلائيّ اللغة الفارسيّة إلى جانب اللغة العربيّة، فعُدَّ بذلك من أصحاب اللسانين[١].

بقي الشاعر على هذا الحال من رفيع الرتبة وعلو المنزلة بين خطباء كربلاء وشعرائها حتى دفعَ الزمانُ في صدرِ أملِهِ، وقَصّرَ من خُطا أجلِهِ، فوافاه الأجل، والتحق بالرفيق الأعلى يوم الأحد ١٤/ ١/ ١٩٩٢م، الموافق الخامس من شهر جمادى الآخرة ١٤١٢هـ، وجرى له تشييع مهيب حضره الكثير من العلماء والأدباء والخطباء وجماهير غفيرة من أهالي كربلاء ومن المحافظات الأخرى، وقد وُوريَ جثمانه في الثرى بمقبرة وادي السلام في كربلاء المقدّسة[٢].

وقد رثاه جمع من الشعراء ممن عرفوا فضله ومنزلته أمثال سلمان هادي آل طعمة، وصالح الشيخ هادي الخطيب، والخطيب السيّد علاء هاشم آل يحيى، وعلي محمد الحائريّ، وكاظم جواد صادق الحلفي، والسيد مرتضى الحسنيّ السنديّ وغيرهم[٣]، فضلاً عن الكلمات التأبينيّة التي قِيلت بحقِّه من لدُن الأديب حمزة خضير أبو العرب، والدكتور عبود جودي الحلّيّ، وعلي عبّود أبو لحمة، والسيّد كاظم محمد النقيب، ومحمد حسن آل طعمة، والمحامي محمد علي الأشيقر وغيرهم الكثير[٤].

(١) ما يؤكد ذلك ما ورد في الديوان من ترجمته لمعنى بيتين من الشعر الفارسي. يُنظر الديوان: ١٦١.

(٢) يُنظر: الشيخ هادي الكربلائي (مدرسة المنبر الحسيني): ١٢٢.

(٣) يُنظر: م. ن: ١٣٢، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٢.

(٤) يُنظر: م. ن: ١٢٧، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٧٧.

الأداء الموضوعي في شعر الشاعر:

بعد استقراء ديوان الشاعر وجدنا أنَّ أبرز الموضوعات الشعرية التي نظم فيها على وجه الاجمال تنحصر في الموضوعات الآتية -وهي بحسب كثرة ورودها في الديوان- الرثاء، والمديح، والأخوانيات، والغزل، والحكمة، وموضوعات أُخر قليلة الورود مثل: الوصف، والشكوى، والهجاء، وشعر المقابر والرمضانيّات.

وقد استطاع الشاعر عن طريق هذه الموضوعات أنْ يكشف للقارئ أنّه كان من الأدباء الذين أجادوا في الشعر إلى جانب إجادتهم في الخطابة، وقد شهدت له المنابر جودة الفكر، ووضوح الرؤية، والإبداع في الأسلوب والإلقاء، وهذا ما سنبيّنه في بحثٍ مستقلٍ إنْ شاء الله تعالى.

الموضوعات الشعريّة التي نظمها في ديوانه

أولًا: الرثاء:

يعـدُّ غرض الرثـاء من الأغـراض البارزة في الشـعر العربـيّ، وقد حظي بعنايـة كبيرة من لَدُنِ الشـعراء عبر العصور الأدبيّة؛ لأنَّ غـرض الرثاء يغلب عليه عنصر الصدق الفنيّ والعاطفيّ في التعبير عن خلجات الشـاعر النفسيّة، وتصوير مشـاعره تصويـرًا صادقًا، فضلًا عن أنّه ينطلق مـن مكنونات النفس البشريّة، معبّرًا عن مقصده بلغة تتسم باللوعة والحزن والحرقة والتوجّع لفقد الميّت، وهذا ما يُفسِّـر قول الشجريّ عندما سُـئِلَ عن سبب تفوّقه في غرض الرثـاء؛ فأجـاب: «إنَّ من تمام الوفـاء أنْ يعلو على المديح الرثـاء»[(١)]، وقال الأصمعيّ: «قلتُ لأعرابيّ: ما بالُ المراثي أشرفُ أشعارِكم؟ قال: لأنّا نقولُها وقلوبنا مُحْترقة»[(٢)].

وقد اسـتأثرَ الرثاءُ بنصيبٍ وافرٍ في ديوان الشـيخ هـادي الكربلائي، وقد انقسم رثاؤه على قسمين بارزين؛ هما:

١. اختصَّ برثاء الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى عليه وعلى عياله وأصحابه في كربلاء: اتّسَـمَ بسمة الحزن والبكاء على فقدهم، وبيان مصائبهم، مختلطًا باستنهاض الإمام المهدي عليه السلام وبني هاشم وحثّهم على الطلب بالثأر، ومن الشواهد على ذلك قوله راثيًا أهل البيت عليهم السلام:

كَـمْ جـرّعَ الـمُـخـتـار مـن أشـجـانـهِ غُـصـصًـا، وهـيّـجـت الـبـتـولـة فاطما

(١) الأغاني: ٢١/ ٤٨.
(٢) العقد الفريد: ١/ ٣٣٩.

كـمْ كـابـدتْ بـنـتُ الـنـبـيِّ مـن الـعِـدى غـصْـبًـا وذُلًّا ثـمَّ ضـربًـا مؤلـمـا

. . . . . .

انـهـضْ لـثـأرِكَ أيُّـهـا الـمُـرجـى له أعـداؤكـم كـمْ مـنـكُـمُ هَـدَرَتْ دَمـا

تـركـتْ حسـينًـا بـالـطـفـوفِ مُـجـدّلا جثـمـانَـهُ بِـشَـبَـا الـسُّـيـوفِ تَـخَـذَّمـا[1]

لقد أَظهر الشـاعر فـي هذه الأبيات عاطفـةً صادقةً كانت تجيش بنفسـه، إذ نراه يبثُّ شـكواه وحزنه لما حلَّ بأهل البيت عليهم السلام، مُعضِّدًا ذلك باسـتنهاض الإمام المهدي عليه السلام للأخذ بثأرهم.

ونجد معاني الحزن والبكاء على أهل البيت عليهم السلام في إحدى مُخمَّسـاتِهِ التي قال فيها:

يـا ويـحَ دهـرٍ عـلـى آلِ الـنـبـيِّ جَـنَـا فـي كـربـلا مـن أُمـيٍّ عُـصـبـةِ الـلُـعـنـا

فـبَـعـدَ يـومِـهُـمُ مـا مـرَّ يـومُ هـنـا يـا أَقـبُـرًا بِـعـراصِ الـطّـفِ هِـجـتِ لنا

حُـزنـًا يُؤَجـجُ فـي أَحشـائنـا نـارا[2]

فالقـارئ لهـذه الأبيات يجد أنّهـا صادقة؛ وقد صدرتْ عـن نفسٍ أثقلتها مصائـب آل النبـي صلى الله عليه وآله. ثُمَّ تشـتعل جذوة الألـم والحُرقة في نفس الشـاعر، فدموعه أراقها لمصاب الحسين عليه السلام، وأوقد في أحشائه الحزن والنار، فالشاعر عادة ما يكون في الرثاء أصدق شعرًا، وأقوى عاطفةً[3]؛ لأنّه لا ينظمه من أجل الحصول على مكاسب دنيوية، أو هبات من شخص المرثي، مثلما نجد ذلك في شـعر المديح، وهو ما أضفى قـوةً على تجربته الشـعريّة، وتأثيرًا أكبر في نفوس مُتلقيه، وهذا ما لخّصه بقولِهِ:

(١) الديوان: ٤٧-٤٨.

(٢) م. ن: ١٧٤.

(٣) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٥/ ١٦١، والرثاء في الشعر العربي: ٥-٦.

تبكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبةٍ إذ نارُ حُزنِكَ في فؤادي واريهْ
لمْ يجرِ دمعي للعظيمِ من الورى لكنّما عيني لأجلِكَ باكيهْ[1]

وتتكرر معاني الحزن على مصاب الإمام الحسين عليه السلام في قصيدة أخرى قال فيها:

كَمْ بنعمانَ قَدْ رأَيتُ نعيما وبهِ كمْ ضَمَمتُ عبيرًا وريما
وبهِ كمْ شربتُ خمرةَ شوقٍ والهوى حولنا يهبُّ نسيما
هوَ عَذْبٌ للعاشقين ولكنْ مَنْ يَذُقْهُ يَذُقْ عَذابًا أليما
كيفَ يهوى الهوى فؤادي يومًا ولرُزءِ الحسينِ أَضحى سقيما[2]

فعلى الرغم من كثرة ما يُلهي العقل وتطيب لهُ النفس من مغريات الدُّنيا إلّا أنَّ ذلك لا يُلهي الشاعر عن مأساة الإمام الحسين عليه السلام ومصيبته، وتصوير جوانبها، وحفظها في ذاته الحزين.

وقد أجاد الشاعر في كثيرٍ من القصائد التي رثى بها أهل البيت عليهم السلام، فكلماته مناسبة لتصوير مأساتهم، ومشوبة بلوعة صادقة وأسىً شديد، وهذا ما نتلمَّسه في رثائهِ لأبي الفضل العباس عليه السلام:

سبط الهدى بالطفِّ شُتِّتَ جمعُهُ مُذ طاح عباسٌ وأصبحَ ربعُهُ
قفرًا وجاء السبطُ يحنو ضلعهُ فأكبَّ مُنحنيًا عليه ودمعهُ
صبغَ البسيطَ فكأنّما هو عندمُ[3]
يبكي ويجري من نجيعٍ أدمُعا لمّا رآهُ على الرّغامِ موّزعا
والجسمُ من فيضِ الدِّما مُلفعا قدْ رام يَلثمُهُ فلمْ يرَ موضِعا
لمْ يُدمهِ عضُّ السيوفِ فيُلثمُ[4]

(١) الديوان: ١٧٢.
(٢) الديوان: ٤٦.
(٣) العَنْدَمُ «شجر أَحمر، وقال بعضهم: العَنْدَمُ دمُ الغَزال». لسان العرب: مادة (عندم).
(٤) الديوان: ١٨١.

ومن الشواهد الأُخر التي انطوت على معاني الحزن والألم قوله:

حـــقّ تـــبـــكـــي كـــلُّ عـــيـــن ... بـــــنـــــواحٍ وحـــنـــيـــن
لـــحـــســـيـــنٍ سِـــبـــطِ طـــه ... حـــيـــثُ أبـــكـــى الـــثـــقـــلَـــيـــن
أيّـــهـــا الـــزائـــرُ ســـبـــط الـــ ... ـــمُـــصـــطـــفى الـــهـــادي الأمـــيـــن
أنـــــتَ فـــي تـــربـــةِ أرضٍ ... ذبـــحـــوا فـــيـــهـــا الـــحـــســـيـــن
قـــف بـــهـــا وأبـــــكِ حـــســـيـــنًـــا ... بـــعـــويـــلٍ ورنـــيـــن
رزؤهُ هـــــدَّ الـــــرواســـي ... وأذاب الـــــثـــقـــلَـــيـــن
هـــهـــنـــا خـــــرَّ صـــريـــعًـــا ... لـــم يـــذق مـــاء الـــمَـــعـــيـــن
حـــولَـــهُ الآلُ ضـــحـــايـــا ... مـــن جـــريـــح وطـــعـــيـــن
هـــهـــنـــا طـــاحَ خـــضِـــيـــبُ الـــشّـــيـــبِ ... مـــقـــطـــوع الـــوتـــيـــن[1]

فالقارئ لهذه الأبيات يجد أنّها استرسال لآهاتِ نفسٍ مفجوعة، نتجتْ منها أحاسيس مؤطّرة بحزنٍ عميقٍ يعكس ألمَ الشّاعر وتوجُّعَهُ، وهذا بدوره يحقّق وظيفة إيحائيّة بلاغيّة، ذات تدفّق دلاليّ يرتبط برابطة وثيقة بأهدافِ الرِّثاءِ ورسالتِهِ.

ولمْ يكتفِ الشاعر بإظهار مشاعر الحزن والألم على الإمام الحسين عليه السلام فحسب؛ بل رثى أغلب شهداء الطف من آل البيت عليهم السلام، وبعضًا مِمَّنْ شَهدَ فاجعة كربلاء، كرثاء أبي الفضل العباس عليه السلام[2]، والسيدة زينب عليها السلام[3]، وعلي الأكبر عليه السلام[4]، والقاسم بن الحسن عليه السلام[5]، ورقية بنت الحسين عليها السلام[6]، وآخرين غيرهم.

---

(١) الديوان: ٥٩.
(٢) الديوان: ٥٦.
(٣) م. ن: ٦٤.
(٤) م. ن: ٤٣.
(٥) م. ن: ٤٥.
(٦) م. ن: ٦٩.

وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما يدلُّ على عمق التفاعل الصادق مع مصائب أهل البيت عليهم السلام عن طريق تَفجُّر الطاقة الشعوريّة لدى الشاعر، وهو ما يُحقّقُ خطابًا شعوريًّا يهدف إلى جعل المتلقّي مشاركًا له في عاطفته الحزينة المؤديّة لوظائف الخطاب الرثائيّ، ولاسيّما أن الشيخ هادي الكربلائيّ كان خطيبًا حسينيًّا يرتقي المنبر ويُنشد هذه القصائد في المجالس الحسينية؛ ليهيّج بها كوامن النفوس لدى محبي أهل البيت عليهم السلام.

٢. رثاء أعيان عصره: إنَّ المُتتبّع لقصائد الشيخ هادي الكربلائيّ الرثائيّة يجد أنّها تحمل أصدق المشاعر الإنسانيّة، ويسيطر عليها طابع العزاء والتصبُّر والإيمان بقضاء الله وقدره، فضلًا عن اتِّسام مراثيه لأعيان عصره بصفات إسلاميّة، فكان التأبين عنده يتصف بمناقب ومحامد تنسجم تمام الانسجام مع مبادئ الدِّين الإسلاميّ، كصفة التقوى والصلاح والعلم والعفّة والاستقامة وغيرها من المعاني الإسلاميّة[1]، ونرى كذلك صدق العاطفة في تصوير الحزن الذي أهاجه الفقيد في صدور محبّيه.

ومن الشواهد على هذا النوع من الرثاء في شعره قوله في رثاء السيد محمد حسن آل ضياء الدِّين، سادن روضة أبي الفضل العباس عليه السلام:

عَصَفَتْ بنادِينا الرِّياحُ الأَربَعُ ... فَخَلَتْ من الحسنِ الزَّكي الأَربُعُ
يومٌ به ناعيه أَعلنَ فقدَهُ ... أُذُنايَ صُمَّتْ ليتها لا تسمعُ
أيروقُ لي عيشٌ وشبلُ المرتضى ... فوقَ السريرِ على الرؤوسِ يُشيَّعُ
لا غَرْوَ إنْ حَمَلَتهُ فوقَ رؤوسها ... أهلُ الطفوفِ وكلُّ عينٍ تدمعُ
نَدَبتْكَ يا شبلَ الأطائبِ كربلا ... حِصنًا حَصينًا بَلْ وجودُكَ أمنعُ
تنعاكَ شَهمًا قد حفظتَ حقوقها ... إنْ كان غيركَ حَقَّهم قد ضيَّعوا

(١) ينظر: الرثاء: ٥٩.

هـذا ضيـاء الـدِّيـن بـعـدكَ مُـدنـفٌ صـابَ الـرزيَّـة فـي مُـصابكَ يـجـزعُ[1]

القصيـدة طويلة تبلـغ (٢٦ بيتًا)، يذكر فيها الشـاعر محاسـن الفقيد وصفاته الحميدة (الشـهامة، والأخوّة، والوفاء، والمـكارم، والتقوى، والعلم، والأمانة، وغيـر ذلك)، ويُظهر لنا الشـاعر عاطفة صادقة كانت تجيش فـي صدره، إذ نراه يبثّ شكواه وحزنه لفقد المرثيّ الذي ظلَّ خالدًا في مخيّلتهِ، لا يسلو عن ذكره.

وقال في رثاء فخر الدّين نجل المرحوم الشيخ محسن آل كمونة:

قـدْ سـالَ مـن دمـعِ الأمـاجـدِ جـامِـدُه مُـذْ شُـلَّ مـن لـيـثِ الـعـرينـةِ سـاعِـدُه
لـمـصـابِ فـخـر الـدِّيـنِ أعـولـت الملا فـغـدا[2] كـيـوم مـاتَ فـيـه والـدُه
قـد هـزَّ أسـلاكَ الـبـريـدِ مُـصـابُـهُ فـي كـلِّ مـصـر عـبَّـقـتـهُ مـحـامـدُه
بـلْ كـيـف تـنـسـاهُ الـورى وهـو الـذي عـمَّـتْ جـمـيـع الـعـالـمـيـنَ فـوائـدُه
قـد أضـربـتْ أهـل الـطـفـوفِ لِـرُزئـهِ إذْ كُـلُّـهُـمْ لابـنِ الأمـاجـدِ فـاقِـدُه
ولـيـومِـهِ يـبـكـي الـفِـخـارُ بـعـولـةٍ إذ بـعـدَهُ هُـدَّتْ عـلـيـه قـواعـدُه
....
مَـنْ بـعـدَ فـقـدِكَ لـلـطـفـوفِ أبٌ ومَـنْ لـلـفـخـر غَـيـرُكَ حـيـثُ إنَّـكَ واحـدُه[3]

ومنه أيضًا قوله في تأبين السيد محمد هادي آل طعمة:

نـاعـي الـمـنـيَّـةِ بـالـطـفـوفِ يُـنـادي مـنْ آلِ طـعـمـةَ قـدْ تُـوفـيَ (هـادي)
مـن آل هـاشـمَ مـن سـلالـةِ أحـمـدٍ نـدبٌ تـقـيٌّ طـيِّـبُ الأجـدادِ
إنْ عُـدَّ خـدّام الـحـسـيـنِ فـإنَّـهُ مـن خـيـرةِ الـخِـدَّامِ بـالـتـعـدادِ
قـضّـى حـيـاةً كـان مـشـغـولًا بـهـا لا زال بـالأذكـار والأورادِ

(١) الديوان: ١٠٥-١٠٦.
(٢) وردت الكلمة في الديوان (فغدى)، والصواب ما أثبتناه.
(٣) الديوان: ١١٢-١١٣.

حـقًّـا أُعـــزّي بـالـفـقـيـدِ شـقـيـقَـهُ مَـنْ عُـدَّ فـي الـزُّهـادِ والـعُـبّـادِ[١]

وتتّسم القصائد الرثائيَّة التي قالها في رثاء أعيان عصره بالمشاعر الجيّاشة التي طغت عليها، فقد ضمّنها صورًا من حزنه الشديد، وأبدع في التعبير عنها، فجاءت قصائـده معبّرة عن تجربة وجدانية صادقة مـن غير تكلُّفٍ أو صناعة لفظيّـة، ونابعة من شـاعريّة حقيقيّة صقلتها دواعي الوفـاء لمن رثاهم، فضلًا عـن أنّها تُعطـي فكرةً واضحةً عن المقدرة الشـعريّة التي تحلّى بها الشـاعر، وتمكُّنـه من ناصية اللغـة، وتُعرب عن خياله الخصـب النابع من قلب حزين مُنكسر لفقد من رثاهم.

ثانيًا: المديح:

يُعـدُّ المديـح من الأغـراض البارزة فـي الأدب العربيّ منـذ عصر ما قبل الإسـلام، ويتمثّـل في «تعـداد لجميل المزايـا، ووصف الشـمائل الكريمة، وإظهـار التقدير العظيم الذي يكنّه الشـاعر فيمن توافـرت فيهم تلك المزايا، وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل»[٢].

وهو يُمثّل تعاطف الشاعر مع شخصية الممدوح وإعجابه بها لما تتميّز به هذه الشخصية من شجاعة أو كرم أو عفّة أو إيمان وتقوى، وأفضل المدح «ما صدر عن صدق عاطفة، وحقيقة واقعة»[٣].

وقد سـجّل هذا الغرض حضورًا واسعًا في شعر الشيخ هادي الكربلائيّ، واتّجه في اتجاهين:

(١) الديوان: ١٠٧.
(٢) فنُّ المديح وتطوّره في الشعر العربي: ٥.
(٣) المُعجم المفصّل في اللغة والأدب: ٢/ ١٣٣.

١. مديح أهل البيت عليهم السلام

إذ خصّه بذكر فضائلهم ومحاسنهم وأخلاقهم النبيلة، من نحو قوله في مديح الإمام علي عليه السلام:

صفا لي في ولائي للوصيِّ أبي الأطهار حيدرةٍ عليِّ
عبادةُ خالقي وولاءُ طه وحبُّ بنيهِ أولادِ النبيِّ[1]

في هذين البيتَيْن يُشير الشاعر إلى عقيدة مهمة اعتقد بها؛ وهي الموالاة لأهل البيت عليهم السلام، بوصفها فرعًا من فروع الدِّين في اعتقاد مذهب الإماميّة، وقد أضفت هذه العقيدة على البيتَيْن ملمحًا دلاليًّا مكّن المعنى من الاكتمال، عن طريق الصياغة التي استدعت الرؤية التي تنطلق من تمركز النص حول عقيدة الشاعر في ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

وقريب مما تقدّم قوله أيضًا في مديح أهل البيت عليهم السلام:

بشراكمُ يا معشر المؤمنين بالمصطفى وآله الطاهرين
بِحُبِّهم سادوا جميع الورى ولاؤهم أضحى لنا مفتخرا
مثيلُ أهل البيتِ يا هلْ ترى لعترةِ المختار في العالمين
سادوا بأمر الله كلَّ البشر في الصُّحفِ قد جاء ونصِّ الخبر
لنا بآلِ المصطفى مُفتخر وعِزّنا نفخَرُ بالطيبين
(فآيةُ التّطهيرُ) نصٌّ جلي في الطُّهر طه وأخيه علي
و (هل أتى) في فضلهم قد تُلي هذا الذي قد جاء نصٌّ مبين
اختارهم ربُّ السَّما سادةً ولِلموالينَ غدوا قادةً
كم أنزلَ اللهُ بهم آيةً يَذكُرها القارئ للسامعين
من حُجَجِ اللهِ الرِّضا الثامنُ إمامُنا عليٌّ الضّامنُ

(١) الديوان: ١٧١.

زائـــــــرُهُ غـــدا هـــو الآمـــنُ يـا ربِّ فاكتُبنا لـهُ زائـريـن[١]

فالأبيـات عبارة عـن تعدادٍ جميل لفضائل أهل البيـت عليهم السلام التي خصّهم الله تعالى بها، حتى غدوا سـادة الخلـق وقادتهم، ولا نظير لهم بيـن العباد، وقد سـاق أدّلة من القـرآن الكريم كـ(آية التطهير، وهل أتـى) لإثبات ما ذهب إليه مـن معتقد، وخصَّ بالذّكر الإمام الثامن (الإمـام الرضا) الذي ذاعت فضائله بين جميع الخلق.

وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما يدلُّ على مدى تأثير البيئة الدينيَّة (كربلاء) التي عاش فيها الشـاعر، فكان لها الأثر الأكبر في ثقافته الدينيّة التي ألقت بظلالها على شعره.

وشبيه هذا المديح الدينيّ لأهل البيت عليهم السلام ما ورد في قوله:

لآلِ مـحـمـدٍ بـيـتٌ تـسـامـى مـقـامًـا بـالـنُّـبـوَّةِ والإمـامـهْ
وفـيـهِ آيـةُ الـتّـطـهـيـرِ نـصٌّ مـن الـرحـمـنِ إذ نـتـلـو كـلامـهْ
لـهـم شـرفٌ عـلـى كُـلِّ الـبـرايـا تـجـلّـى فـي الأذانِ وفـي الإقـامـهْ[٢]

لجأ الشـاعر في هذه المقطوعة إلى اسـتدعاء نصٍّ قرآنـي يبيّن من خلاله خصيصـة كبرى مـن خصائص أهل البيـت عليهم السلام، وهي آية التطهيـر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، فلجوء الشـاعر إلى التوظيف القرآني هو بسبب ما يحمله النص القرآني من طاقة دلاليَّة مؤثِّرة في رسم الصورة المدحية التي لها مصاديقها في مخيلتِهِ.

وقال في ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام:

(١) الديوان: ٤٨-٤٩.
(٢) م. ن: ١٦٠.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

البيتُ بالأُنس زهى واستنار ... بصاحب الحوضِ وذات الفقار
في وسط الكعبةِ ميلادُهُ ... لولاهُ ما شيدَتْ وصارتْ مزار
لولا عليٌّ ما رأيتَ الورى ... تعبدُ ربَّ البيت سِرًّا جهار[1]

فالشاعر هنا يُشيد بالمنزلة الرفيعة التي حباها الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام، عن طريق ذكر ولادتهِ في بيته الحرام، وهي فضيلة لم ينلها أحد قبله ولا بعده من البشر، وهو كذلك صاحب الحوض يوم القيامة، وهو صاحب ذي الفقار الذي طالما ذبَّ به عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبياته عبارة عن إعجاب حقيقيّ غير مزيّف، لم ينظمها لأجل التّكسُّب والمجاملة؛ بل نابعة من معتقد راسخ في ذهنه ووجدانه.

وقال أيضًا في موضعٍ آخر:

(قُلْ لا) لِمَنْ الذّكر كانَ تلاها ... بمودّة القربى يُرى معناها
هُمْ عترةُ الهادي النبيِّ ومَنْ بِهم ... في يومِ نجرانٍ محمَّدُ باها
مِنْ (قُلْ تعالوا) صحَّ أَنَّ المُرتضى ... نفسُ النّبي وفاطم وابناها
صِدِّيقةٌ كبرى وهذي بنتها ... الصِّدِّيقةُ الصُّغرى سليلة طه
هي زينبُ الكُبرى وبضعة أحمدٍ ... فالثمْ وبُلَّ من الدموعِ ثراها
يا واقفًا في بابِ روضتها التي ... مِنْ كربلا لِمُحِبِّها أهداها
وترى أمامكَ مرقدًا قدْ ضمّها ... والزَّائرينَ تزاحموا بِحماها
قد أخلصتْ للهِ فيما جاهدتْ ... بعدَ الحُسينِ وهذهِ عُقباها[2]

استعان الشاعر بإشارات من القرآن الكريم لإبراز مناقب أهل البيت عليهم السلام، وهو ما يُعرف بـ(التناص القرآنيّ)، وهذه الإشارات تؤكّد صحّة ما ذهب إليه، وتوثيقه في ذهن المُتلقّي، بوصف القرآن نصًا معصومًا من الخطأ والزلل، فلا

(١) الديوان: ١٦٥.
(٢) م. ن: ٦٤.

يبقى مجال للشكِّ عند المُتلقّي بعدَ ذلك، فقد أشار في البيت الأول إلى فضل أهل البيت عليهم السلام الذي أثبتته الآية المُباركة: ﴿قُل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، وفي البيت الثالث أشار إلى فضلهم في قصة (مباهلة نصارى نجران) التي أشارت إليها الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، ومِنْ ثُمَّ يتحوّل إلى ذكر فضائل السيدة زينب عليها السلام التي ورثتْ الفضلَ عن جدِّها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعن أُمِّها الزهراء عليها السلام، وأدّتْ الدور الريادي المُتمم لأهداف ثورة أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

٢. مديح أعيان عصره

وقد خصَّ بهذا النوع من المديح بعضًا من العلماء والوجهاء والأعيان والساسة من معاصريه ممّن يرى أنهم يستحقّون المدح والثناء؛ لِتحلِّيهم بخصالٍ حميدة وأخلاق فاضلة يحكم العقل باحترامها وتقديرها، من نحو مديحه للسيد المرجع مُحسن الحكيم؛ إذ قال:

اللهُ شاءَ بأنْ تكونَ أَمامَنا ... وبِعصرنا للمؤمنينَ إِمَاما
فردًا تجلّى فيكَ شرعُ محمدٍ ... إذ صرتَ حارسَ شرعهِ المِقداما
شاء الحكيمُ إلى الحكيمِ بِلطفهِ ... نورًا بهِ قدْ شرَّعَ الأحكاما
بالفرضِ يقعدُ رُشدُنا بقعودهِ ... ويقومُ مُقتديًا بهِ إنْ قاما
يا حاملًا عَلَمَ الهُدى وبه الهدى ... إنْ أسدلَ الدّهرُ الخؤون ظلاما
أبصرتُ رشدي فيكَ يا بن محمدٍ ... إنْ كان غيري عن هُداكَ تعامى
بَعَثَ الإلهُ إلى الهدايةِ رسلُهُ ... والأوصياء لِترفعَ الإسلاما

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

وبِلُطفِهِ مَنْ غابَ شخص وليِّهِ أبقى لنا علماءنا[1] الأعلاما[2]

تدور معاني المديح في هذه الأبيات حول الصفات الدينيّة التي تحلّى بها الممدوح، من عِلْمٍ، وإيمانٍ، وتقوى، وإرشادٍ للهُدى، وحراسة للدِّين، وتشريع للأحكام، وهداية الناس، فكان الممدوح في نظر الشاعر بمثابة الرمز الدّال على الخصال الدينيّة التي دعا إليها الشارع المُقدّس.

وقال في مديح السيّد أحمد الراوي في قدومه مُتصرِّفًا لكربلاء سنة (١٣٥٥هـ):

طيرُ الهنا بالبُشر غرَّد مُذْ حلَّ أرضَ الطفِّ أحمدْ
فالمدحُ فيه لائقٌ والقصدُ نحو عُلاه أحمدْ
شهمٌ له العلياءُ ألـ ـقتْ طاعةً لِعُلاهُ مِقودْ
بوجودهِ درِكُ المُنى ونالُ فيهِ كُلَّ مقصدْ
قد طابَ أصلًا في الورى وزكى من الآباءِ والجَّدْ
وطأ الثُّريّا كعبُهُ ومثالُهُ للمجد يصعدْ
لُقِّبتَ بالرّاويِّ إذ كُلُّ الفخارِ إليكَ يُسندْ
يومٌ بهِ قد جئتنا يومٌ علينا كانَ أسعدْ
فأبوكَ بدرُ سما الهُدى وسناكَ فيهِ لاحَ فرقدْ
فيكم مزايا جُمِّعتْ جلَّتْ عُلًا بالحصرِ والعدْ
فضلٌ وفخرٌ شامخٌ ومهابةٌ والجودُ واليدْ
شعري أتى في مَدحِكُمْ طلقًا ولم يأتِ[3] مُقيّدْ[4]

إنَّ القارئ للقصيدة يلحظ أن المعاني المدحية التي شكّلت بنيتها الدلالية تدور حول صفات نمطية طالما مدح بها شعراء العرب، وهي: الشهامة،

(١) وردت الكلمة في الديوان (علمائنا)، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الديوان: ١٢٧.
(٣) وردت العبارة في الديوان (لم يأتي)، والصواب ما أثبتناه.
(٤) م. ن: ٨٥.

والعُلى، والفخر، وطيب المولد، والمجد، والمهابة، والجود، وكان فضل الممدوح سابقًا على أهل البلاد، وبوجوده نالوا المجد وأدركوا المُنى.

ومن مديحه للشخصيَّات الكربلائية المعروفة أيضًا أبياته في السيد محمد علي آل سيد عدنان والسيد محمد علي غياث:

بأبي نزارٍ حُقِقتْ آمالُنا ... والعِلمُ يصدعُ فيه رَفّ لواءِ
فردُ الزَّمانِ فلا أرى شفعًا لهُ ... ولهُ أشارتْ جُملةُ العلماءِ
وهناك والدُ طالبٍ بسقتْ بهِ ... حُسنُ المزايا في ذُرى الجوزاءِ
جودٌ ومعروفٌ وحسنُ طبائعٍ ... في شخصهِ عُرِفَتْ وكلّ إباءِ
يشتاقُهُ قلبُ المشوقِ بحبِّهِ ... شوقًا كظمآنٍ لوِردِ الماءِ
والمُستغيثُ بشخصهِ منْ شدّةٍ ... فهو الغياثُ له من الضَّرّاءِ
عَلَمانِ في بيتِ الهدايةِ أصبحا ... للعلمِ ذاكَ وذاكَ للإقراءِ
فلآلِ عدنانٍ أُهنِّي أجمعًا ... منْ قدْ سَمَوا بالهِمَّةِ القعساءِ[1]
أخلصتُ في حُبّي لكم يا سادتي جج ... لا كالذي فيما يقول يُرائي[2]

إذا تأمّلنا هذه الأبيات نجدها لم تخرج عن معاني القصيدة المدحيّة التي شاعت عند العرب، فالشاعر أورد صفات الممدوح وخصاله الحميدة، وهي: العِلمُ، وتحقيق الآمال، وأنه فرد الزّمان، وتميّزه بحسن المزايا، والجود، والمعروف، وحسن الطبائع، والإباء، وغياث المضطر، والهمّة العالية، وهي معانٍ قديمة دارت حولها قصائد المديح منذ أقدم العصور[3].

(١) «القَعَسُ نقيض الحَدَب، وهو خروج الصدر ودخول الظهر... وعِزَّةٌ قَعْساء ثابتة، قِيلَ: العِزَّة القَعْساء لِلأَعَزّ، ورجل أَقْعَس ثابت عزيزٌ مَنِيع، وتَقَاعس العِزّ أَي ثبت وامتنع ولم يُطَأْطِئْ رأْسه». لسان العرب: مادة (قعس).

(٢) الديوان: ١٢١-١٢٢.

(٣) يُنظر: في الشعر العباسي (الرؤية والفن): ٣٥٧.

ومِنْ الشواهد الأُخَر مديحه للسيد محمد حسن نجل السيد مرتضى آل ضياء الدِّين (سادن الروضة العباسية المقدّسة آنذاك):

قَدْ آبَ للقلبِ المَشوقِ مُناهُ ... مُذْ عادَ شبلُ المرتضى لحماهُ
والمجدُ صرّحَ في عُلاه مُناديًا ... لا أبتغي للمَكرُماتِ سِواهُ
قد زارَ ثامنُ عترةِ الهادي ومَن ... فرضٌ على كلِّ الأنام ولاهُ
فحظى بما قَدْ قالَ مولانا الرضا ... والكلُّ هذا القولُ عنهُ رواهُ
مَن زارني في غربتي من شيعتي ... فأنا وآبائي غدًا شفعاهُ
وله ابن موسى قدْ تقبّلَ زورةً ... وعليهِ جادَ بفضلهِ وحَباهُ[1]

فالشاعر ابتدأ قصيدته بالثناء على الممدوح بصفات شاعت عند كثير من الشعراء وهي: الكرم، والمجد، والشهامة، والجود، وبعد ذلك تحوّل إلى ذكر صفة دينية تتمثّل بتّشرُّف الممدوح بزيارة المشهد المُطهّر للإمام الرضا عليه السلام؛ لِيُضفي على ممدوحهِ سِمةً محبوبةً عند محبي أهل البيت عليهم السلام.

ويبدو أنَّ البيئة التي نشأ فيها الشاعر، وتطبّع بعاداتها وقيمها، وما تتمتّع به تلك البيئة من منزلة روحيّة ودينيّة عند محبّي أهل البيت عليهم السلام قد طبعت شعره المدحيّ بهذه السمة الدينيّة، ولعلَّ ميوله إلى إشاعة هذه السمة في شعره المدحيّ جاءت من أجل بثِّ الرضا في نفس الممدوح.

وإلى جانب هذا النوع من المديح نجد الشاعر قد مدح بعض الشخصيّات السياسيّة التي عاصرها، من نحو قصيدته التي مدح بها الملك غازي حينما زار كربلاء:

ثغرُ البلاد بيُمنِ طلعتِكَ ابتسم ... فأتاكَ يسعى هامُنا دونَ القدمْ
يا بن الذي للشعبِ كافحَ دونَهُ ... وإلى الوجودِ أتى به بعدَ العَدَمْ

(١) الديوان: ٩٧.

قد كان للعُربِ الكرامِ لسانَها وسنانَها وبهِ لهُم رُفِعَ العَلَمْ
ولأنتَ تحكيهِ بكُلِّ صفاتهِ قد قيلَ مَنْ يحكي أباهُ فما ظلمْ
جِزتوا المكارمَ سيدًا عن سيدٍ في مدحكُم يا سيِّدي كلَّ القلمْ
ماذا أقولُ بمدحِكُم وبِبيتِكُمْ نزلَ الكتابُ وفيهِ جبريلٌ خَدَمْ[1]

إنَّ القارئ لهذهِ الأبيات يلمح ميلَ الشاعر إلى المُبالغة في الثناء على الممدوح، وإسباغ الصفات عليه، من أجل التّقرُّب من الممدوح وتحقيق الأثر الفاعل في نفسه.

ولمْ يقفِ الشاعر عند هذا الحد، بل لجأ إلى الإيغال في المبالغة في إضفاء الصفات على ممدوحه، فقال:

فبعدلِ غازي قد غدتْ في عصرِنا ترعى الذِّئابُ الضارياتُ مع الغَنَمْ
كمْ خُضتَ يا ملكَ العراقِ جحافلا فغدا[2] النثارُ بها لِطَلعتكَ القِممْ
....
مَنْ حاتمٌ، مَنْ مَعنُ بالجودِ الذي وُصِفوا به، بلْ مِنكَ قد أخذوا الكَرَمْ
دُمْ يا مليكًا بالجلالِ مُؤيَّدًا وبعينِ ربِّ العرشِ منشورَ العَلَمْ[3]

إنَّ المبالغة المُفرطة في المديح من لدُن الشيخ هادي الكربلائيّ في إضفاء صفات التَّفرُّد على الممدوح لم تَنبعْ من نفسٍ صغيرةٍ تَطمعُ بالتّكسُّب المادي، أو الحصول على شيءٍ من حطام الدُّنيا، بل قصد في هذا النوع من المديح تقديم الالتماس إلى الملك غازي، والشفاعة عنده في قضاء حاجة أحد الإخوان، وقد صدر بحقِّهِ حُكمًا من الجهات العُليا، وهو يعلمُ حقَّ العلمِ بأَجرِ قضاءِ حاجة المؤمن، وثواب إغاثة الملهوف، وهذا الأمر تؤكده الأبيات الآتية:

(١) الديوان: ١١٥.
(٢) وردت الكلمة في الديوان (فغدى)، والصواب ما أثبتناه.
(٣) الديوان: ١١٥.

فَلَئِنْ عفوتَ أبا الفُتُوحِ عن الذي جهلًا جنى ما قدْ جناهُ واجترمْ
فلقدْ عفا المُختارُ جدُّكَ سابقًا عنْ أهلِ مكّةَ حينَ قدْ فَتَحَ الحَرَمْ
فَلَأَنتَ للشعبِ العراقيّ والدٌ بَرٌّ وكَهفٌ شامخٌ لَهمُ أَشَمْ[1]

فعلى الرغم من عثورنا على نماذج شعريَّة مالَ فيها الشاعر إلى المُبالغة في المديح، إلّا أنَّ هذه السمة لم تُشكِّل ظاهرة واسعة في شعرهِ، بل اتسم شعره بالابتعاد عن التكلُّف، وأنَّ ميلَهُ إلى المبالغة كان بسبب غايات ومقاصد؛ أبرزها قضاء حوائج الإخوان عند ذوي الشأن والسلطان.

ومما تقدّم يمكن القول: إنَّ غرض المديح في شعر الشيخ هادي الكربلائيّ كان مُوظَّفًا في أغلبهِ إلى تحقيق غايات إنسانية عُليا، ونَصرِ القيم السامية التي آمن بها، والثناء والاطراء على الرموز الإنسانيّة الرّاعية لتلك القيم والغايات، فضلًا عن توظيفه المديح في توثيق صلات المودّة والإخاء بين الأصدقاء والإخوان وأفراد المجتمع الذي ينتمي إليه.

ثالثًا: الإخوانيات:

وهي أبيات ومُقطّعات وقصائد تُنْظَمُ إلى أحد الإخوان أو الأصدقاء أو النظراء، في أمور تتعلق بحوادث ومناسبات شخصيَّة واجتماعيّة، كالتهنئة، والتعزية، والشكوى، والعتاب، والاعتذار، والاستعطاف، وغير ذلك مما يصوّرُ العواطف الخاصّة، ويُسفرُ عن مكنون الوداد، وسرائر الفؤاد، وما تعتلج به النفوس من ودٍّ إلى الأحبة؛ تأكيدًا لعرى المحبّة والصداقة والودّ بينهم[2]، من نحو قول الشيخ هادي الكربلائيّ في تهنئة رجل من آل كموّنة وقد رُزِق بمولودٍ جديد:

جاءتْ تميسُ بطرفِها الفتّانِ هيفاءُ في قدٍّ كغصنِ البانِ

(١) الديوان: ١١٥.
(٢) يُنظر: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: ٣٨٢.

زفّتْ لنا الأفراحَ في ألحانِها ... برخيمِ صوتٍ رنَّ في الآذانِ
في خيرِ يومٍ جاء من أيّامنا ... في النصف من خيرِ الهُدى شعبانِ
....
جئنا كعادتِنا بيُمنٍ دائمٍ ... نُبدي جميعَ مسرّةٍ وتهاني
بولادةِ المحروسِ مَنْ نرجوهُ أنْ ... يبقى لمجد السالفينَ الباني
بالمصطفى والمُرتضى وبآلِهِ ... نرجو سلامَتَهُ من الحدثانِ
يبقى لوالدهِ السّلامُ وقلبُنا ... يرجو لهُ صنوًا عضيدًا ثاني
دُمْ يا عليُّ مُؤيدًا منْ ربِّنا ... تحظى بأبهجِ صحَّةٍ وأمانِ[1]

نجد في هذه القصيدة أنَّ الشاعر قد افتتحها بمقدّمة غزليّة مناسبة لغرضها الرئيس؛ وهو (التهنئة)؛ ليجعلها عتبة مناسبة تُمهِّد لما يأتي بعدها، ويُعرب بوساطتها عن المعاني التي تتزاحم في نفسهِ الشاعرة، فهي مقدّمة رصدت الغرض الرئيس للقصيدة، عن طريق إشارات أوردها الشاعر في مُفتتح القصيدة، وأومأت إلى موضوع القصيدة، وألمحت لفكرتها، وأوحت بغرضها التي أُنشِأت من أجلهِ؛ وهذا يدل على براعة الشاعر في نظمه، وقد مدح النقاد الذين كانوا يُوجبون على من يتصدى لمقصد من المقاصد، أن يكون مُفتتح كلامه مُلائمًا لذلك المقصد، دالًّا عليه، أو مُستوحى من صلب الغرض الرئيس للقصيدة[2]؛ لأنَّ المقدّمة تمثل حجر الأساس الذي ترتكز عليه القصيدة، وزنًا وقافية، ومضمونًا؛ بل هي مفتاح الولوج إلى مقاصد النص وأسراره[3].

وقريب مما تقدّم نجده أيضًا في تهنئته للسيد هاتف الأعرجي بِعقد قران وَلدِهِ (مُثنّى):

(١) الديوان: ١٣٤.
(٢) ينظر المثل السائر: ٢/ ٢٣٦.
(٣) ينظر: مقدّمة القصيدة العربية في العصر الفاطمي (أطروحة دكتوراه): ٢٠٣.

أهـدي التّهـاني بـالـسـرورِ الأبـلـجِ لـلـسيِّـد الـهـاتـفِ نـجـلِ الأعـرجـي
بـقـرانِ عـقـدٍ لابـنـهِ فـي كـربـلا فـي شـهـر شـعـبـان بـوقـتٍ أبـهـجِ
بُـشـراكَ فـي عـرس الـمُـثـنّى دائـمًـا ولـهُ مـن الـرحـمـنِ خـيـرًا نـرتـجي
زفَّـتْ لـهُ الـعـلـيـاءُ عِـزًّا وافـرًا فـي ثـغـرِ أُنـسٍ بـالـسـرورِ مُـفـلّـجِ
دامَ الـهـنـاءُ لـكـم بـجـدِّكُـمُ الـذي لـلـعـرشِ غـير وجـودهِ لـمْ يَـعـرُجِ[1]

هذه الأبيات عبّرَ فيها الشاعر عن فرحتهِ، وبهجتهِ، ومشاركتهِ لصديقهِ في تلك الفرحة، وقد وظّف فيها بعضًا من المعاني الإسلاميّة، ولاسيّما أنّه أفاد من توظيف (شهر شعبان) بوصفه رمزًا دينيّا أضاف للنصّ روحًا جديدة، وأعرب عن مقدرة الشاعر الأدبية في توظيف ما يُلائم الغرض المنشود. فجاءت تهنئته بمثابة آصرة اجتماعيّة تُمثّل ديمومة المحبّة بين الأصدقاء، ودليل على قوّة الرابطة التي تربط أفراد المجتمع.

وقد كان الشعراء في العصر الذي عاش فيه الشيخ هادي الكربلائي يتبارون في هذا النوع من الاشعار فيما بينهم، ويلجؤون إليها إذا ما بَعُدتْ عنهم الدّار، واتّسعتْ الشّقة فيما بينهم وبين الإخوان؛ وذلك لشغفهم المُتبادل، ولإظهار مكنون الود والمحبة لمن قِيلت فيهم، ولهذا قِيلَ عنها أنّها تُرجمان الجنان، ونائب الغائب في قضاء الأوطار، ورباط الوداد مع تباعد البلاد[2].

ومن الشواهد على هذا النوع من الشعر الإخواني في شعر الشيخ هادي الكربلائي ما نجده في مراسلته الشعرية التي أرسلها إلى صديقهِ الحاج محمد السلمان في الأحساء بمناسبة عيد الفطر:

الـحـمـدُ لـلـهِ الـعـلـيِّ الـشـآنِ إذ خـصّـنـا بـالـلـطـفِ والاحـسـانِ

(١) الديوان: ١٣٧.
(٢) يُنظر: علم الأدب (علم الإنشاء والعروض): ١/ ٢٩٥.

بصيامِ شهرٍ بوركتْ أيّامُهُ شهرُ الهُدى المعروفُ في رمضانِ
والعيدُ حلَّ وقد بعثتُ تهانيًا لشقيقِ روحٍ حلَّ في جثمانِ
هو صفوةُ الحجاجِ ذاكَ محمدٌ شبلٌ لسلمانٍ أبو سلمانِ
دُمْ للهنا والعيدُ يا حِلفَ العُلى يومٌ أراك بهِ وانتَ تراني
أنا ما نسيتُكَ والأحبَّةَ كُلّهم وقت الدُّعاء فأنتَ لا تنساني[١]

ومن الشواهد الأُخر ما أرسله إلى الشخص -المذكور آنفًا- وقد بَلَغَهُ أنه مريض، فبعث إليه هذه الرسالة إلى الأحساء:

يا حبيبَ القلبِ يا غصنَ الأراك حبذا يومَ تراني وأراك
يا أبا سلمان مِنْ ربِّ السما لمْ يزلْ هادي يدعو ما نساك
بالنبيِّ المصطفى والمرتضى كل آنٍ طالب منه شفاك[٢]

فهذا النوع من المراسلات الشعريّة عظيمة القدر، تُعرب عن فكرة الشاعر وعاطفته، وتصوّر كثيرًا من آرائه اتّجاه مَنْ يُرسلها إليهم مِنْ نحو ما نجده في النُتفة التي أرسلها إلى مأمور نفوس كربلاء وقد نُقِلَ إلى الديوانية، واسمه (عبد الباقي):

مِنْ كربلا إنْ سِرتَ عبد الباقي فثناكَ ما بينَ الأحبّة باقي
لكَ بالنفوسِ تحوُّلٌ وتَبَدُّلٌ أمّا بنفسي موثَقٌ بوثاقِ[٣]

فالإخوانيّات واسعة المجال، خصبة الخيال، فضلًا عن أنّها تعمل رياضة للخاطر وتُمتَحنُ بها قوّة القريحة، ويُعتبَر بها تصرّف الفطنة، ويُسبَرُ بها غور الذهن، ويُعلم بها استعداد الفكر[٤]. ولهذا نجد الشعراء كثيرًا ما يمزجون

(١) الديوان: ١٤٢.
(٢) م. ن: ١٤٣.
(٣) م. ن: ١٥٩.
(٤) يُنظر: حُسن التّوسّل إلى صناعة التّرسّل: ١٦٦.

بينها وبين المديح، من نحو قول الشيخ هادي الكربلائيّ مهنِّئًا السيّد أحمد الراوي مُتصِّرف كربلاء بأيام العيد:

أصبحَتْ الأزهار في ابتسامِ ... تُحيِّ بالعيدِ أبا هِشام
والروضُ يحلو لِعُلاه الهَنا ... بالأُنسِ والإقبال كلَّ عام
يا أحمدَ الأفعالِ يا مَنْ لهُ ... في هامةِ المجدِ المقامَ السامي
دُمْ كُلَّ عيدٍ بالهنا سالما ... بجدِّكَ المبعوثِ للأنامِ
إذ أنتَ من دوحتهِ نبعةٌ ... قد بسقتْ يا زهرة الأيامِ
يا قادمًا والنّصرُ حِلفًا له ... مُؤيدًا بالواحد العلّام
يَشكركَ الطفُّ بحُسنِ الثّنا ... يا حَسَنَ الأخلاقِ والإنعام
إنّي بمدحِ أحمدٍ أَلكَنٌ ... إذ مدحُهُ لا يُحصى بالأقلامِ
هذا ابن إبراهيم ذاك الذي ... بالعلمِ والاحسان بحر طامي
والدُهُ فردٌ بتدريسهِ الـ ... ـحكمةَ والتّدريسِ للأحكامِ
إنْ قِيلَ مَنْ في العصرِ يُعزى له الـ ... إحسانُ والمعروفُ للإسلام
أشار مِنْ نادي العُلا معشرٌ ... لأحمدِ الراوي أبي هِشامِ[1]

إذا تأمّلنا هذه الأبيات -وهي جزءٌ من قصيدة تتشكَّل من سبعةَ عشرَ بيتًا- وجدناها تجمع بِشَكلٍ جليّ بين معاني التهنئة ومعاني المديح، وتعاضدت فيما بينها بتركيب لغوي أدّى الدلالة المُبتغاة.

أمَّا التّعزية وهي من المقاصد الجليلة التي تبادلها الشيخ هادي الكربلائيّ مع الأهل والأصدقاء؛ تعبيرًا عن مشاعر الحزن والأسى لما ألمَّ بهم من مصاب بفقدِ عزيزٍ من ذويهم أو أترابهم، وتصويرًا لكوامن الحرقة والألم التي خلفتها أهوال الفجيعة، وعُظم الرزيّة لفراق الأحباب، وعادةً ما تكون

(١) الديوان: ٨٦-٨٧.

التّعزيـة ممزوجة بمعاني التّسـليةِ والحـثِّ على الصّبرِ بوعـد الأجر والدعاء للميّـتِ والمُصابِ، من نحو ما نجده في تعزية الشـيخ هادي الكربلائيّ التي أرسلها إلى مُتصرِّف لواء كربلاء عبد الرّزاق الأُزري بوفاة أبيه:

رزءٌ كسى الأمـجـادَ ثـوبَ حِـدادِ مُـذْ حـلَّ بـيـتَ الـمـجدِ مـن بـغـدادِ
وسـرى إلـى أرضِ الـطـفـوفِ فعمَّها إذْ خَـصَّ فـيـهـا طَـيّـبَ الأجـدادِ
قـد غـادرتْ كـفُّ الـرّدى من أُسـرةِ الـ أُزري أبـا الأشـبـالِ عـينَ الـنـادي[1]
صـبـرًا عـلـى مـا نَـابـكُـم ففـقـيـدُكُـم بـجـوارِ حـيـدرةٍ وصـنـوِ الـهـادي[2]

هـذه الأبيات تُمثّـل أُنموذجًا جميلًا لمعاني العزاء عن طريق هذا النسـيج المعنويّ المتناسـق الذي كشـف عن موهبة أدبيّة نظمت عددًا من المضامين الفكريّة التي تتعلّق بمعاني المودّةِ والإخاء.

أمـا فـي بـاب الاعتـذار فللشـيخ هـادي الكربلائي جملـةٌ مـن القصائد والمُقطّعات، منها القصيدة التي أَرسـلَها إلى أحـد الأصدقاء مُعتذرًا فيها عن تقصير في أمرٍ لم يُفصِحْ عنه:

لأبـي فـاضـلٍ أُقـدِّمُ شـكـري راجـيًـا أنْ يـكـونَ قـابـلَ عـذري
إنْ بـدا مـن مُـحِـبِّـكُـمْ يـا بـن طه لِـعُـلا مـجـدِكُـم قـصـورٌ بـجـهـرِ
فـالـرَّجـا عـفـوكُـمْ فـأنـتَ إلـى العفـ ـوِ زمـيـلٌ ولـلـعُـلـى تـاجُ فـخـرِ
أنـتَ كـهـفٌ لـنـا أشـمُّ رفـيـعٌ جـوهـرٌ أنـتَ قـد تـحـلّـى بـتـبـرِ
جـدُّكَ الـطُّـهـرُ كـمْ عـفـا عـن أُنـاسٍ قـد جـنـوا أيَّ جُـرمٍ وَوِزرِ
فـأنـا الآنُ قـد جـنـيـتُ عـظـيـمًـا فـاعـفُ عـنّـي وأنـتَ بـالـحـالِ تـدري
فـضـلُـكُـمْ يـا بـنـي الـنـبـيِّ جـمـيـمٌ لا أؤدي مـعـشـارَهُ طـولَ دهـري

(١) هكذا ورد البيت في الديوان، وهو غير مستقيم الوزن على بحر الكامل.
(٢) الديوان: ٩٥.

ومـــزايـــاكُـــمُ تـضـاهـتْ وجـمَّـتْ عـنْ عـــدادٍ بـكُـلِّ شُـــيءٍ وحَـصـرِ
فـالـدُّعـا لايـــزالُ مـنّـي كـثـيـرًا[1] لـــذُرى مَـجـدكُـمْ بـسـرٍّ وَجَـهْـرِ[2]

فقد اسـتطاع الشـاعر من خلال هذه الأبيات أنْ يكشـف للقارئ عن قيمة إنسانيّة عُليا؛ وهي (الاعتذار)، وقد نَشَدَ من ورائها العودة إلى الألفة والمحبة والوداد بين طرفي الخطاب (المُرسل، والمُرسل إليه)، ولذلك نجد أنّه توسّلَ إلى ذلـك بألفاظ وتراكيب تَنُمُّ عـن التَّلطُّف في الخطاب، ولاسـيما توظيفه للألفـاظ المحبّبة إلى نفس المُعتَـذَر له كـ (يابن النبي، ويابـن طه)؛ من أَجلِ بلـوغِ المـرامِ، والتأثيرِ في نفس المُعتَذَرُ إليه، فقـد ورد عن حازم القرطاجنّي أنّه قال: «فأمّا طرفا الاعتذار والمُعاتبات وما جرى مجراها، فملاكُ الأمرِ فيها التَّلطُّف والإثلاج إلى كلِّ مُعتَذَرٍ إليه»[3].

فالإخوانيّات أكثر انطباعًا بشـخصيّة شـاعرها وأسـلوبه في التعبير، وأقلُّ خضوعًـا للقواعد العامة التي تخضع لهـا الموضوعات الأُخر، ولهذا نجدها تميل أحيانًا إلى المُداعبة، والمُلاطفة، والتّرويح عن النفس، من نحو ما نجده في قصيدة الشـيخ هادي الكربلائي التي أرسـلها إلى الحاج كاظم من أهالي مسقط، مُلاطفًا إيَّاه فيها:

سِـــرْ لـلـذي أهـــواهُ يـا فـــؤادي واذكـــرْ لَـهُ الـمُـضـمـرَ مِـنْ ودادي
أَنَّـــى وقَـــدْ ضـاقـتْ بـه الأوســاعُ وكَـــلَّ عَـــنْ إحـصـائـهِ الـيـراعُ
....
قـدْ رامـــتْ الـنـفـسُ لـكَ الـوصـولا كـي فـي لـقـاكُـمْ تُـدركَ الـمـأمـولا
مـانَـعْـتُـهـا بِـهـمَّـتـي وَكَـفِّـي وقـلـتُ يـا نـفـسُ اصـبـري وكُـفِّـي

(١) وردت الكلمة في الديوان (كثيرٌ)، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الديوان: ٨٨.
(٣) منهاج البُلغاء وسُراج الأُدباء: ٣٥٢.

سوفَ يوافي كربلا سريعا ... وفيهِ يَغدو مَحلُنا ربيعا
سوفَ يوافيكِ أخي بالحلوى ... وتَحْلو فينا عندَ ذاكَ النّجوى
سوفَ تَريْنَ الروبيانَ البحري ... وكُلَّما تَرجينَهُ من خيرِ
قالتْ: مواعيدُكَ بالتّسويفِ ... مثل هبوبِ الرّيحِ بالخريفِ
دَعْنا فإنَّا نرجو منهُ الوصلا ... فذاكَ ممّا قد ذكرتَ أحلى[1]

ومما تقدم يمكن القول: إنَّ الاخوانيات تنوّعت موضوعاتها، وتعددت مقاصدها، في شعر الشيخ هادي الكربلائي، بحسب الأغراض التي استدعتها، والموقف النفسي للشاعر.

رابعًا: الغزل:

هو من الأغراض الشعريّة التقليديّة التي شاعت بشكلٍ واسع في الشعر العربي على مرِّ العصور الأدبيّة، وهو من الموضوعات الشعريّة الجميلة المُحبَّبة إلى النفس، بل «هو أشهرها، وأكثرها رواجًا وإمتاعًا»[2] في الشعر العربي لعلاقته بالعاطفة والوجدان، وهو يُصوّر أشواق المُحبيّن ولواعجهم النفسيّة اتّجاه مَنْ أحبّوا[3]، سواء أكان ذلك بشكلٍ حقيقي أم بصورة تقليديّة مُتخيّلة مُنتقاة من ذهن الشاعر وخياله.

ولهذا نجد أنَّ الغزل قد انقسم على قسمين؛ الأول ما كان قائمًا بنفسهِ، والآخر قد وَلَجَ في الأغراض الشعريّة الأُخر؛ ليُشكّلَ عَتبةً مَدخليّةً مناسبةً تُمهِّد إلى تلك الأغراض، وقد شاع هذا النوع من المقدِّمات في قصائد الشعراء القُدماء، ولاقى استحسانًا واسعًا بين جمهور الشعراء من بعدهم

(١) الديوان: ١٥٢.
(٢) الغزل مُنذُ نشأتهِ حتى صدر الدولة العباسية: ٤٠.
(٣) ينظر: الغزل في الشعر العربي: ٦.

على مختلف العصور، لأنّه يلائم نفوس كثير من متلقي الشعر، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة بشكّلٍ صريح، وما تؤدّيه المقدّمة الغزليّة من دور بارزٍ في صدور القصائد عند العرب، فقال: «وسمعتُ بعضَ أهلِ الأدب يذكرُ أنَّ مقصدَ القصيدِ إنَّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة، والشوق؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأنَّ التشبيب قريبٌ من النفوس، لائطٌ بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقًا منه بسبب، أو ضاربًا فيه بسهم حلالٍ أو حرامٍ»[1].

ولو تصفّحنا ديوان الشيخ هادي الكربلائيّ لوجدنا الغزل عنده كَثُر في مقدّمات القصائد ومطالعها، وأنّه نَظَمَ الغزل جريًا على عادة الشعراء، ومن باب التقليد الفني للفحول من شعراء العرب، وعلى الرغم من ذلك لم يُعرف عنه أنّهُ من الشعراء الغزليين؛ لكونِهِ من الشعراء المحافظين، ونشأ في (كربلاء) تلك البيئة المُحافظة التي مثّلتْ مركزًا دينيًّا وعقائديًّا للمسلمين بصورة عامة، وللطائفة الشيعيّة بصورةٍ خاصة.

ومن الشواهد على غزلِهِ ما نجده في مقدّمة قصيدة قالها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

يصبو الفؤاد إلى المِلاحِ الخُرَّدِ ... ويبيتُ طرفي ساهرًا لمْ يرقُدِ
وأبيتُ أرجو من حبيبي زورةً ... أحيا بها لتزولَ نارَ توجُّدِي
لكنَّ مَنْ أهواهُ يوعِدُني بأنْ ... يأتي فيخلفُ بالتّماطُلِ موعدي
يا ليلةً بتنا يُعانقُ بعضُنا ... بعضًا وفي ليلينِ كُنّا نرتدي

(١) الشعر والشعراء: ١/ ٧٥.

فطفقتُ أرشِفُ بالمحبّةِ ثغرَهُ ومن الخدودِ الوَردَ تجنيهِ يدي
حتى الصباح فغابَ عن عيني وهلْ يبقى حبيبٌ للمُحبِّ بمشهدِ

وبعد هذه المقدّمة الغزليّة يتخلّص إلى الرثاء فيقول:

لو كان يبقى للمُحبِّ حبيبهُ ما عاد حيرانًا سليلَ مُحمّدِ
فَقَدَ الأحبّةَ والحُماةَ بكربلا وبقى فريدًا لا يرى مِنْ مُنجدِ[1]

إنّ القارئ لهذه القصيدة يجد أنَّ الغزل قد تركّز في مقدّمتها، وهو على جانب من الحسن والجودة، وقد ساعدته نفسُهُ الشاعرة، ورقّة طبعِهِ على نظمها، وقد كرّر فيها المعاني التي تعارف عليها الشعراء في موضوع الغزل.

وتتكرّر في ديوان الشاعر ظاهرة افتتاح المراثي بمقدّمات غزليّة في قصائد مُتعدّدة، من نحو ما نجده في قصيدته التي قال فيها:

كَمْ بِتُّ في ذكرى الحبيبِ مُتيَّما وحشايَ مِنْ شوقِ الوصالِ تصرَّما
قد غابَ مما حلَّ بي منِّي الكرى شَهِدَتْ بما قدْ قلتُهُ شهُبُ السَّما

وبعد الغزل يتحوّل ليصل إلى الرثاء بتخلّصٍ بديع، فيقول:

كيفَ الأمانُ من الزّمانِ وغدرهِ بادٍ لدى كلِّ الورى لنْ يُكتما
أَرأَيتَ يألفُ للكرى مَنْ قدْ غدا[2] قسمًا لهاتيكَ الخطوبِ مُقسّما
مِنْ بعدِ ما غدرَ الزّمانُ بعِترةِ الـ ـمختارِ ترجو من زمانكَ تَسلما[3]

فالشاعر قد افتتح الرثاء بالغزل، وهما غرضان لا تجمعهما مناسبة واضحة؛ وذلك لأنّ ما تسالم عليه العقل والذوق السليم يُحتِّم على الشاعر أن يبتدئ بعبارات تُجسّد انشغال الراثي بإظهار اللوعة والحزن والانكسار

(١) الديوان: ٤٠.
(٢) وردت الكلمة في الديوان (غدى)، والصواب ما أثبتناه.
(٣) الديوان: ٤٧.

على المرثيّ، لا أن يبتدئ بمغامرات عاطفيّة في ذِكرِ المحبوبة وجمالها[١]، ويعلل الدكتور يحيى الجبوري ذلك بقوله: «ونُلاحظ أنَّ هذه القصائد التي تبدأ بالغزل فيها ألمٌ وشكوى وعتاب وروح حزينة، كل ذلك يُمهِّد للانتقال إلى الرثاء، أي أنَّ الجو السائد هو جوٌّ حزين فيه ألمٌ وشجا»[٢].

فهي تتفّق معًا في صدورها عن ينبوع الإحساس الواحد (الإحساس الحزين) الذي تتدفّق منه عاطفة الصدود والرثاء، وهي مشاعر تتفق في كونها فراقًا، وتستثير أحاسيس مُتشابهة، وتُعبِّر عن لوعة متقاربة[٣].

ومن الشواهد الأُخر التي نظمها الشاعر على موضوع الغزل قوله مهنّئًا السيد محمد علي آل سيد عدنان بمناسبة زواج ولدِهِ (طالب) في مدينة خرمشهر:

بـــرزتْ بـأحـسـنِ حُـلّـةٍ وبـهـاءِ ... ألـــفٌ ونـــونُ نُـطـقُـهـا وبـهـاءِ
هـيـفـاءُ هـــامَ الـعـاشـقـونَ بِـحُـبِّـهـا ... وبـوصـلِـهـا يـنـجـابُ كُـــلُّ عـنـاءِ
صـــدَّتْ بـعـيـنٍ سـحـرُهـا فَـتَـنَـتْ بـه ... مُـــذْ لاحـظـتـهـا أعـيـنُ الـنُّـظـراءِ
أمـسـتْ بِـخُـرَّمـشـهـرِ يـبـسـمُ ثـغـرُهـا ... وتَـــزفُّ كـــلَّ مـســرّةٍ وهـنـاءِ

ثُمَّ يتخلّص بعد هذه المقدّمة الغزلية إلى المديح فيقول:

لـلـسـادةِ الأعـــلامِ فـي أفـراحِـهـم ... خَـطـرتْ تـمـيـسُ بـقـامـةٍ هـيـفـاءِ
هُـــمْ آلُ عـدنـانٍ تـسـامـوا رفـعـةً ... أكـــرِمْ بـسـادتِـنـا بـنـي الـزّهـــراءِ[٤]

لعلَّ أول ما يسترعي انتباه القارئ لهذه الأبيات براعة الشاعر في تخلّصها من الغزل إلى المديح ومن ثُمَّ إلى التهنئة؛ إذ كان حريصًا على أنْ يكون انتقاله

(١) ينظر: العمدة: ٢/ ١٥١.
(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٢١٦ – ٢١٧.
(٣) يُنظر: المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٧.
(٤) الديوان: ١٢١.

سـهلًا، تلتئم فيه الأغـراض، ولا يحس القارئ بتحوّلٍ مفاجـئٍ بينهنَّ، فضلًا عمّا يلحظه في مشـهدها الغزلي من رهافة حس الشـاعر فيه، ورقّته الظاهرة، وبراعتـه في تصوير معاني الغزل؛ من جمال طلعـة الموصوفة، وتثنّي قدِّها، وسـحر عيونها، فهي أبيـات جميلة المعانـي، وتأخذ بعضهـا برقاب بعض، ولاسـيما أنَّ غرض القصيدة هـو خليط بين التهنئة والمديـح، وهما من أكثر الأغراض مُناسَبَةً لافتتاحهما بالغزل[1]؛ لما بين الغرضين من وشائج وعلائق تُبنى على الفرح والسرور، وإشاعة روح البهجة في نفوس المُتلقّين.

ومما تقدّم يمكن أنْ نؤكّد أنَّ غزلَ الشـيخ هادي الكربلائي غزلٌ مصنوع، ولـم يصدر عن تجربـةٍ صادقةٍ وصبابةٍ حقيقية، بقدر ما هو سـعي منه لإثبات براعتـه الفنيـة، ومقدرتـه على تنـاول فنون الشـعر المختلفـة، وكان حريصًا علـى تقديمهِ بين يدي قصائـده ليميل نحوه القلوب، ويصـرف إليه الوجوه، ويسـتدعي به إصغاء الأسـماع، فهو لم يكابد الحب حقيقـةً، ولكنّه أبدع في غزله، حتى يُخيلَ لمن سمعه أنّه خاض غمار تجارب الحب وعاناه حقيقةً.

خامسًا: الحنين والشوق:

الحنيـن: هـو الشّـوقُ وتَوقانُ النّفـسِ إلى أشـياء وذكريات محبّبـة إليها، وأصلُ الحنين ترجيعُ النّاقـةِ صوتها إثرَ وليدِها، وقيل: حنَّت الإبل إذا نَزَعتْ إلـى أوطانها أو لوليدها[2]، فالشـوق والحنيـن بمعنى واحـد، أو لهما دلالة متقاربة[3]، وقد أُطلِقا على شـعر الشعراء الذين ابتعدوا عن أوطانهم، وفارقوا

(١) يُنظـر: مقدّمـة القصيـدة العربية فـي العصر الفاطمي -دراسـة تحليليـة- (أطروحة دكتوراه): ٣٧.

(٢) يُنظر: لسان العرب/ مادة (حنن).

(٣) يُنظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون: ١/ ١٠٤٧.

أهلهم وأحبّتهم؛ فاعتراهم الشوق والوجد إليهم، وتفجّرت صدورهم بالحنين والتوقان إلى قُربهم؛ فسالت هذه المعاني على ألسنتهم شعرًا تعبيرًا عمّا تجيش به صدورهم[1].

فهما من الموضوعات الشعريّة الموظّفة للتعبير عن الحسِّ العاطفي لدى الإنسان اتجاه مَنْ يَحُب، بوصفها غريزة فطريّة تمثل ثمرةَ المحبّة وحالًا من أحوالها.

وقد كان لهذا الموضوع حضورٌ متميّزٌ في ديوان الشيخ هادي الكربلائيّ، من نحو ما نجده في قصيدته التي أرسلها إلى صديقِهِ الحاج مهدي كرم علي الحلّاق بعد أنْ هُجِّرَ قَسرًا من العراق إلى إيران على إثر حملة التسفيرات التي شنّتها الدّولة وقتئذ، فقال فيها مُعبّرًا عن شوقه إليه:

حَكَمَ الإلهُ بلطفِهِ وأَراني ... أَنا في العراق وأَنتَ في إيرانِ
يا مهديًا[2] ولأنتَ والدُ صالحٍ ... أنساكَ كلّا حيثُ لا تنساني
صبرًا فإنَّ اللهَ بالغُ أمرِهِ ... إذ كلُّ يومٍ كائنٌ في شأنِ
لا زالَ ذِكري بالدُّعاءِ لشخصِكُم ... مهما ذكرتُ مصيبةَ العطشانِ
ما كانَ يخطرُ في فؤادي أنَّني ... في كربلاءَ وأنتَ في كاشانِ
قد كُنتَ لي عَضُدًا وخيرَ مُجالسٍ ... فيهِ وفي أولادِهِ سلواني
يومٌ بهِ سارتْ ظعونُ أحبّتي ... يومٌ عظيمٌ رزؤه أبكاني
مِنْ بعدِ ما كانوا بتربةِ كربلاء ... في خيرِ موهبةٍ وخيرِ مكانِ
فالدّهرُ شتتَ جمعَهم بصروفِهِ ... وبمثلِ هذا غدرَةُ الأزمانِ
قد حلَّ بعضهُمُ بيزدَ وبعضهُمْ ... في قُمَّ منزلُهُم وفي طهرانِ

(١) يُنظر: المُعجم المفصّل في الأدب: ١/ ٣٨٥.
(٢) المنادى العلم في اللغة يُبنى على ما يُرفع بهِ، لكنه ورد منصوبًا في هذا البيت الشعري من الديوان.

وبـرشـتْ بـعـضـهُـمُ وقـزويـنٍ غـدا ... بـعـضٌ وبـعـضٌ حـلَّ فـي كـرمـانِ
وأنـاس فـي طـوسٍ بـقـربِ مُـبـعَّـدٍ ... ومُـشـرَّدٍ أضـحـى عـن الأوطـانِ
فـلـكُـمْ بـغـربـتـهِ جـمـيـعًـا أسـوةٌ ... يـا مـعـشـرَ الأخـيـار يـا أخـوانـي
صـبـرًا أحـبـتـنـا عـلـى مـا نـالـكُـمْ ... والـخـيـرُ مـأمـولٌ مـن الـرحـمـنِ[1]

مـن المُلاحظ على أبيات الشـاعر أنّها تُمثّل بحقٍّ صـورةً واضحةً للنغمةِ الحزينـة النّاجمة عن ألم الفراق، ولوعة الاشـتياق إلـى الأحباب، فضلًا عن العاطفة الصادقـة الحافلة بكلِّ معاني الحنين، والتجربة القاسـية التي عاناها جرّاء فراق أصدقائه.

ومن شـواهد الحنين الأُخر في شـعره قصيدته التي أرسلها للمُسفَّرين من كربلاء:

كـتـبـتُ كـتـابًـا بـالـعـبـاراتِ مُـجـمـلا ... لأخـوتـي الأطـيـابِ مـن أهـل كـربـلا
فـلا غـرو أنْ قـاسـيـتُ ضُـرًّا لأجلهم ... لأنّـا جـمـيـعًـا قـد فُـطـرنـا عـلـى الـولا
أمـرُّ عـلـى الـدّورِ الـتـي كـنـتـمُ بها ... ودمـعـي عـلى الـخـدَّيـنِ بـالـدَّمـعِ مُـرسـلا
فـأذكُـرُ أهـلـيـهـا وأدعـو بـأنْ أرى ... لـهـم عـودةً فـيـهـا وعـيـشًـا مُـبـجّـلا
وأذكـرُ دورًا بـالـمـديـنـةِ قـد خـلـتْ ... وعـنـدكـمُ مـا قَـدْ أقـولُ مُـفَـصَّـلا[2]

فأبيات الشـاعر تنطوي بشـكلٍ جليّ على الشـوق واللوعـة، وتحمل بين طيّاتهـا كثيرًا من معاني الشـوق والحنين للأصحـاب الراحلين، وتُفصح عن نفسٍ حسّاسةٍ برّحها الهوى، وآلمها الفراق.

وقريب من المعنى السـابق نجده في أبياته التي أرسلها إلى صديقه الحاج مهدي في إيران:

---

(١) الديوان: ١٢٨.
(٢) م. ن: ١٦٥.

بعدما كنّا جميعًا أنا عندك وأنتَ عندي[1]
قدّر الوقتُ علينا أنْ أُناجيكَ لِبُعدِ
بتمامِ الشوقِ هادي مِنْ صميمِ القلبِ يهدي
ذكرَ خيرٍ ودُعاءٍ لأبي صالح مهدي
فمتى الربُّ دُعائي بالِّلقا يُنجزُ وعدي
شخصُكُمْ لا زال عندي هبْ سكنتُم أرضَ يَزْدِ[2]

فالشاعر في هذه الأبيات يركن إلى تصوير لواعج الشوق، والبُعد، والأرق، وعذابات النفس من جراء فراق أحبّته، وذكر أيّامهم الماضية ورؤية ديارهم الخالية التي شكّلت بواعث تؤجّج مشاعر الشوق والحنين في نفسه، فهو يمنّي النفس باللقاء العاجل؛ ليخفّف من لواعج الشوق، ويطفئ حرارة الفراق.

ومن تشوّقهِ الأرجوزة التي أرسلها إلى المُلا كاظم من أهالي مسقط، قال فيها:

سرْ يا فؤادي وابتدئ[3] بالبسملة والحمدُ للهِ فإنَّ الحمدَ له
.....
وقُلْ لهُ تُنبِئكَ البلادُ عنِّي، فمنِّي بيتُكَ الفؤادُ
أمّا ودادي يا أخي فراسِخُ في القلبِ مهما شَسَعتْ فراسِخُ
هيهاتَ أنْ تعلمَ ما أشواقي حتّى يَمُنَّ اللهُ بالتّلاقي
وما ذكرتَ قدْ أحطتُ خُبرا بهِ كما أنتَ بقلبي أدرى
ذكرتَ شوقا لِمُحبٍّ شيّقٍ وما مضى يقلُّ عند ما بَقي[4]

وفي أبيات أُخر قالها على لسان أحد أصحابه وقد تركته زوجته إلى بيت أهلها لاستيائها منه:

(١) هكذا ورد عجز البيت في الديوان، وهو غير موزون.
(٢) الديوان: ١٦٧.
(٣) وردت الكلمة (وابتدء) في الديوان، والصواب ما أثبتناه.
(٤) الديوان: ١٥٥-١٥٦.

فما أُحيلى ليلة قد مضتْ شاهدُنا فينا ومشهودُ
إلّا حبيبًا[١] كان ما بينَنا بالهمِّ والحسرات مفرودُ
يرجو وصالًا مِنْ أحبّائهِ والبابُ دونَ الوصلِ موصودُ
مُجرِّدًا على اللِّقا سيفَهُ والسيفُ في الأجفانِ مغمودُ
فشخصُهُ ما بيننا حاضرٌ وطرفُهُ للبابِ ممدودُ
عودوا علينا الوصل مِنْ لطفِكُم من دارِكُم لدارِنا عودوا
كمْ ليلةٍ بتُّ للقياكُمُ مُعذّبًا والقلبُ مَكمودُ
عودوا على الرّاغبِ في وصلكُم على المُعنّى بعدَكُم جودوا[٢]

يلحظ القارئ لهذه الأبيات قوّة العاطفة، ودفق المشاعر التي بثّها الشاعر فيها، فراح يصوّر تشوّقَ الرّجل لزوجته، وحنينَهُ إليها، معبِّرًا عن ذلك كلِّه في سياق أدبيٍّ جميل.

وقال مُخاطبًا الشيخ فخر الدِّين كمّونه:

مُذْ غبتَ يا مَنْ كلُّهُ نُبْلُ مِن كربلا لمْ يَنسَكَ الكلُّ
خلّدتَ ذكرًا بيننا حَسَنًا كلُّ الورى لثنائهِ تتلو
....
أيعودُ فيكَ زمانُنا عَجِلا وهُناكَ مجلسُ أُنسِنا يَحلو
وتُدارُ أكؤسُ أُنسِنا بهنا ويُسرُّ فيكَ الإلفُ والخلُّ[٣]

فقد تولّد في نفس الشاعر حنينًا إلى أحد أحبّته الرّاحلين، وتصاعد أثر ذلك في نفسهِ بسبب الصور الجميلة التي أختزلها له في ذاكرته ومُخيّلته،

(١) وردت الكلمة (حبيبٌ)، في الديوان، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الديوان: ١٦٩.
(٣) م. ن: ٨٩.

فتشـكّلت أمام ناظريه فأضرمت نـار الوجد في قلبه الـذي تمنّى عودة الأيام الخوالي التي كانت تحلو بقربهِ وأُنسهِ ومجلسهِ.

وممّا تقدّم يمكننا القول: إنَّ الشيخ هادي الكربلائي تمكّنَ من تصوير حنينهِ وأشواقهِ إلى الأهل والأصدقاء بقصائد ومُقطّعات شعريّة مُتماسكة المعاني، ومُتسلسلة الأفكار، وقد وشّحها الطّابع الحزين الذي يُناسب الغرض.

سادسًا: الحكمة:

من الموضوعات المسـتمدة من تجارب الحيـاة وخبراتها الطويلة، وهي تعنـي «وضع شـيء فـي موضعـه»[١]، أو هي معرفـة أفضل الأشـياء بأفضلِ العلوم[٢]، وهي بذلك تمنح الإنسـان الصواب في كلِّ فعلٍ وقول يصدر عنه؛ لأنّها تنبذُ الرذائل، وتَحُثُّ على مكارم الأخلاق، وتهدي الإنسان إلى السداد في العقيدة والسـلوك، وتَنقلهُ من الظُّلمات إلى النـور، لذا قيل: إنَّ «الحِكمَة مُوقظةٌ للقلوبِ من سِنَةِ الغفلةِ، ومُنقذةٌ للبصائرِ من سكرةِ الحَيرةِ، ومحييةٌ لها من موتِ الجهالة، ومستخرجة لها من ضيقِ الضّلالة»[٣].

والحكمة على جانبٍ كبيرٍ من الأهميّةِ والمنفعةِ؛ ولذلك قال القرآن الكريم ﴿مَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٤]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحكمة ضالّة المؤمن»[٥]، وقال العرب: خذوا الحكمة ولو من أفواه المجانين[٦].

---

(١) كتاب التعريفات: ٥٤.

(٢) يُنظر: الحكمة في الشعر العربي: ٥.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب: ١/ ٤٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٥) نهج البلاغة: ٤/ ٧٨.

(٦) يُنظر الموقع الألكتروني: https: //www.alsamim.com /topics/ ٣١٩

وقد سجّلت الحكمة حضورًا لا بأس به في ديوان الشيخ هادي الكربلائي، ولاسيّما أنَّه من خطباء المنبر الحسينيّ الذين كانوا يتوسّلون بالحكمة والمواعظ لإرشاد الناس وهدايتهم إلى طريق الصواب، ومن الشواهد على الحكمة في شعره، قوله:

لِلنفسِ سرٌّ منتهاهُ فسادُ ... أغرتْ به بعضَ الأنامِ فسادُ
فأدّتْ أُناسًا للهوانِ وظنُّهم ... لهمْ الزّمانُ وأهلُهُ ينقادُ
فكَبَتْ بهم أطماعُهُم ونفوسُهم ... وبسوءِ مُنقلبٍ بهِ قد عادوا
كُنْ زاجرًا للنفسِ عنْ أهوائها ... بالعقلِ إذ فيهِ لها الإرشادُ
أو فاستعنْ بالواعظينَ ذوي النُّهى ... فهم الهُداةُ وللورى رُوَّادُ
ما صدَّهُمْ عَنْ نهجِهِمْ طمعٌ ولا ... زيغٌ ولا وهنٌ ولا أوغادُ
نقلوا عن الذّكرِ الحميدِ بيانَهُ ... وَلِحُكْمِهِ قادوا الورى وانقادوا
يا واعظينَ تيقَّظوا[1] مِنْ فتنةِ الدْ ... دُنيا ففي بعض الصلاحِ فسادُ
كيْ لا نكون لِمكرها ألعوبةً ... فيزولُ عنّا الخيرُ والإسعادُ[2]

يعرض الشاعر في هذه القصيدة حكمته عن الدنيا وعن مكرها، وقد استمدها من تجربته الخاصة وحياته الطويلة، وهذه الحكمة وإنْ كانت معروفة منذ القِدَم إلّا أنّها باقية خالدة خلود الوجود، طالما هناك متلازمة الحياة والموت، فالشاعر عمل جاهدًا على تصوير حال الدّنيا بصورة فنيّة جميلة، مفادها أنَّ الدُّنيا بمكرِها وألاعيبِها طالما أسلمتْ كثيرًا من الناس إلى الذُّلِّ والهوان، بعد أنْ ملكوها وسادوا البلاد والعباد، وفي ذلك أكبر عبرة لأهل الدُّنيا.

(١) وردت الكلمة في الديوان (تيقَّضوا)، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الديوان: ١١٨.

وقال أيضًا في معنى مُقارب من المعنى السابق؛ في التّحذير من الدُّنيا ومَكرِها وتقلُّب أحوالها بأهلِها ومُريديها:

احذرْ من الدّنيا وكُنْ حُرًّا ... إذ إنَّها قد أعلنتْ غدرا
وازهدْ بدارٍ كُلُّها كَدَرٌ ... وارغبْ إذا ما شئتَ بالأخرى
أينَ الفراعنةُ الأولى درَجوا ... وطُغاتُهُم أم أينَ ذا كُسرى
غدرتْ بهمْ في مَكرِها فغدوا ... بعدَ القصورِ رهائنَ الغبرا
غدرتْ بخاتَمِ رُسلِها وَشَفَتْ ... بِمَصابِهِ مِنْ عِندِها الصَّدرا[1]

وفي أبياتٍ أُخر يُقدّم حكمةً للمُذنبين وللعاصينَ مفادها لا نجاة لهم يوم القيامة من النار إلّا بحبِّ الحسين عليه السلام الذي قضى ظامئًا في أرض الطف، لأنَّ حبَّهُ جُنّةً من النار، فقال في ذلك:

مِنْ دهرِكَ احذرْ إنَّهُ غدّارُ ... هلْ كيفَ يأمنُ مَنْ لهُ أوتارُ[2]
كَمْ مِنْ عبيدٍ فيهِ صارتْ سادةً ... واستُعبَدتْ مِنْ جورِهِ الأحرارُ
منهُ تجنَّبْ واحذرنْ يومَ الجَّزا ... إذ في غدٍ لا تُقبَلُ الأعذارُ
يومٌ بهِ ينجو المُخفُّ وكلُّ مَنْ ... في عفوهِ قد خصَّهُ الجبّارُ
يومٌ سوى الأعمال لا يُغني الفتى ... فيه إذا وافى ولا أفكارُ
إنْ شئتَ تنجو في القيامةِ من لظى ... أم عنكَ يُمحى الذَّنبُ والأوزارُ
فابكِ سليلَ المُصطفى لمّا قضى ... بالطفِّ ظامي دونَهُ الأنصارُ[3]

وفي أبياتٍ أُخر يُخاطب الشاعر من يريد الركون إلى الدّنيا، ويبغي سعادةً فيها، ويبني آمالًا عريضة بالاتكال على طول الأمل فيها، ينصحه أنها لا أمان فيها، وطالمًا غدرت بأهلها، وسقتهم من كأس المنون، فقال في ذلك:

---

(١) الديوان: ١٠١.
(٢) الوِترُ: «الثَّأر». لسان العرب: مادة (وَتَرَ).
(٣) الديوان: ٤٢.

يـا مَـنْ تـرومُ مِـنْ الـليـالي بهجةً وأَراكَ مِـنْ سـرَّائـهـا فـي مطمعِ
أَقْـصِـرْ فـإنَّ سِـهـامَـهـا فـتّـاكـةٌ فـي كـلِّ ذي شـأنٍ رفـيـعٍ أرفـع
كـمْ قَـدْ رَمَـتْ بـالـنّـائـباتِ مَـعـاشـرًا وسَـقـتـهُـمُ كـأسَ الـرَّدى أفـلا يـعـيْ[١]

وكثيـرًا ما تختلط عنده الحكمة بالنُّصح والإرشـاد؛ ليؤديّانِ معنىً ذا تأثير فاعـلٍ فـي نفس المُتلقّي، متوسّـلًا إلى ذلـك بذكر الأحداث والشـخصيّات التاريخية، وسَوْق الآيات القرآنية التي توثّق ما يذهب إليه، من نحو قوله:

يـا نـائـمـيـنَ تـيـقَّـظـوا[٢] مـن نـومِـكُـمْ واتـلـوا صـريـحَ الـذِّكـرِ والـقـرآنِ
لا يـبـقـى إلّا الـلـه جـلَّ جـلالُـهُ إذ كـلُّ مَـنْ فـوقَ الـبـسـيـطةِ فـانِ
أيـنَ الـمُـلـوكُ وأيـنَ مـا مـلـكـوا لـهُ أم أيـنَ كِـسـرى أنـوشـيـروانِ[٣]

وقال أيضًا في معنى مُقارب من المعنى السابق:

نـرجـو نـكـونَ مـن الـرَّدى بـأمـانِ والـكـلُّ يـقـرأ مُـحـكـمَ الـقـرآنِ
قـال الإلـهُ وعـزَّ مـا قَـدْ قـالـهُ فـي واضـحِ الـتَّـنـزيـلِ والـتِّـبـيـانِ
يبقى دوامًـا وجـهُ ربِّـكَ ذو العُلى وجـمـيـعُ مَـن فـوقَ الـبسيطةِ فـانِ[٤]

وقال في صفة الرفيق الصالح الذي يأخذ بيدِ رفيقهِ إلى خير الدُّنيا والآخرة:

ليسَ الرفيقُ الـذي تحظى[٥] بِصُحبتِهِ فـتـسـتـفـيـد بـه دُنـيـا بـلا ديـنِ
بـل الـرفـيـقُ الـذي تـحـظى[٦] بِصُحبتِهِ فتستفيد به الدّنيا مع الدّينِ[٧]

---

(١) الديوان: ١٠٣.
(٢) وردت الكلمة في الديوان (تيقَّضوا)، والصواب ما أثبتناه.
(٣) الديوان: ١٣٨.
(٤) م. ن: ١٢٣.
(٥) وردت الكلمة في الديوان (تحضى)، والصواب ما أثبتناه.
(٦) وردت الكلمة في الديوان (تحضى)، والصواب ما أثبتناه.
(٧) الديوان: ١٦٢.

وممّا تقدّم يمكن القول: إنَّ الشاعر قد صاغَ حِكمَهُ الشعريّة من تجاربهِ الخاصة، ومن واقع الحياة التي عاشها، ومن تجاربها الطويلة، بعد أنْ استمدَّها واستخلص العبر منها، وصاغها بأشكال وقوالبَ لفظيَّة ذات تأثير دلاليّ واضح.

سابعًا: موضوعات شعريّة أُخَر:

لَمْ يكتفِ الشيخ هادي الكربلائيّ بنظم الموضوعات المذكورة آنفًا، بَلْ حفلَ ديوانه بموضوعات أُخر، لكنها لم تستحوذ على نصيب واسع من شعره، بل جاءت قليلة الورود؛ لذا آثرَ الباحثان جمعها في فقرة خاصة؛ لتكتملَ الصورة عند القارئ حول الموضوعات الشعرية في ديوان الشاعر، وهي على النحو الآتي:

١. الوصف:

هو «نقلُ صورةِ العالم الخارجيّ، أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ، والعبارات، والتّشابيه، والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقامَ الألوان لدى الرّسّام، والنّغم لدى الموسيقي»[(١)]، وشرط الجيّد من الوصف أنْ يستوعبَ أكثر معاني الموصوف «حتى كأنّه يصوّر الموصوف لك فتراه نصبَ عينيك»[(٢)].

ولم يحظَ الوصف باهتمامٍ كبيرٍ من لَدُن الشيخ هادي الكربلائي؛ لانشغالهِ بأغراض أُخَر، ومن شواهد الوصف التي وردت في ديوانهِ قوله في أرجوزةٍ وَصَفُ فيها فلسطين وهو في طريقه إلى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام:

(١) المُعجم الأدبي: ١/ ٢٩٢- ٢٩٣.

(٢) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): ١٤٥.

حتى أَتينا لبلادٍ حيفا تلفُّنا الجِنانُ فيها لفّا
....
وقدْ رأينا موضعَ المعراجِ للمصطفى بنورهِ الوهّاجِ
للبرتُقالِ منظرٌ بديعُ زاهٍ وقدْ سُرَّ بهِ الجميعُ
....
حياتُهمُ أفضتْ بها البحارُ حارتْ بها مِنْ عندنا الأفكارُ
ما بينَ لونٍ أبيَضٍ وأسود وأحمرٍ جلَّ الإلهُ السَّرمدُ[1]

وصف الشاعر بهذه الأبيات فلسطين وما فيها من موضعٍ لمعراج الرسول الأكرم ﷺ، وما تنطوي عليه من جِنان جميلة تضمُّ أشجار البرتقال التي تُسرُّ الناظر، فضلًا عن منظر البحر الذي جمع ما بين اللون الأبيض والأسود والأحمر، فهذه الأبيات عبارة عن لوحة تصويريّة تكشفُ للقارئ جانبًا مهمًّا من جغرافية فلسطين ومناظرها الجميلة.

٢. الشكوى:

تعني إظهار ما في النفس الإنسانيّة من ألمٍ وتوجُّعٍ جرّاء متاعب الحياة وملماتها، وسوء أخلاق أهلها، وبثّه بكلماتٍ تشوبها الحرارة واللوعة، ويوحشها التّشاؤم والحرمان[2].

ومن شواهدها في شعر الشاعر قوله شاكيًا لأبي الفضل العباس عليه السلام بعض همومهِ:

إليكَ أبا الفضلِ اشتكيتُ وإنني على العلمِ تدري قبلَ بثّي للشكوى
فكُنْ لي شفيعًا عندَ سبطِ مُحمدٍ أخيكَ حُسينٍ كَشفَ ما بي مِنْ بلوى

(١) الديوان: ١٤٨-١٤٩.
(٢) يُنظر: مُعجم المصطلحات الأدبية: ٢١٤.

فـــإنَّ كـلـيـمَ الـلـهِ أعـطـى لـقـومـهِ إلـهُ الـسَّـمـا مـنْ أجـلـه الـمـنَّ والـسّـلـوى
وأنـتـمْ عـلـى الـرحـمـنِ أكـــرمُ خَـلـقِـهِ فما ردَّ إنْ تـدعـوهُ يـومًـا لكم دعـوى[1]

٣. الهجاء:

ضـدُّ المديح ونقيضه، وهو الشـعر الذي يكشـف الزيف، ويتتبّع الفسـاد الإنسـاني، ويبغي الشـاعر من ورائه سـلب الفضائل النفسـيّة والقيم الخلقيّة للمهجو، ويسند إليه الأنموذج القبيح، فيصفه ببعض الصفات القبيحة، ويسلبه الصفات الفاضلة[2]، ولم يُسـجّل الهجاء نسبةً واسعةً في ديوان الشاعر؛ لأنّه من الأشـخاص الذين نالوا احترامًا كبيرًا في الوسـط الاجتماعي الذي عاش فيـه، فأحـبَّ الجميع وأحبَّه الجميع، وهذا ما أبعده كثيـرًا عن الهجاء، إلّا في حـالات الضرورة، من نحو قوله في هجاء مَنْ اتّخذ من الصداقة الزّائفة غطاءً لصُحبتِهِ، فكانَ يظنُّ هؤلاء أنّهم إخوانٌ له، ولكن حينما انكشـفتْ سـريرتهم تبيّن له أنهم أعداؤه الحقيقيون:

وإخـــوانٌ رَجـــوتُ بـحُـسـنِ ظـنّـي بـصُـحـبـتِـهـم أُدمِّـــرُ كُـــلَّ عـادي
أحـــبـــاءٌ عَـــهـــدتُـــهُـــمُ ولـكـنْ بـدا[3] لي في البواطنِ هـمُ الأعـادي[4]

٤. شعر المقابر:

وهو شـعرٌ يُكتَبْ على حِجارة القبور، وأسـيجة المَقابـر، وعادة ما يَجمعُ بين الحكمةِ، والوعظِ والارشاد، وشكوى الدُّنيا، وتبصير الإنسان بما سيؤول إليه مصيره، من نحو الأبيات التي قالها الشيخ هادي الكربلائي، وكُتِبَت على

(١) الديوان: ٦٠.
(٢) يُنظر: الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص: ٩٩.
(٣) وردت الكلمة في الديوان (بدى)، والصواب ما أثبتناه.
(٤) الديوان: ١٦١.

مقبرةِ عباس الوكيل:

عِبْرةٌ صرنا لكم فاعتبروا ... واحمدوا الله كثيرًا واذكروا
إننا كُنّا بدُنيا مِثلكُمْ ... وغدونا في قبورٍ نُقبَرُ
فأطيعوا اللهَ وارجوا[1] عفوَهُ ... ولكُمْ ثُمَّ لنا فاستغفروا
واذكروا الأمواتَ في فاتحةٍ ... فلهُمْ خيرٌ وأنتم تؤجروا[2]

وكذلك طُلب منه نَظم بعض الأبيات لتُكتبَ على قبر أحد المؤمنين، فنظم قائلًا:

أيُّها الأحياءُ يا أهلَ الفنا ... مِثلكُمْ كُنّا فوافانا الفنا
كمْ سكنّا في قصورٍ شَمَخَتْ ... ولنا الأجداثُ أضحتْ مَسكنا
كمْ أكلنا ولبسنا سُندُسًا ... فأُكِلنا ولَبِسنا الكفنا
فاسألوا من ربِّنا رحمتَهُ ... فلكُمْ أجرٌ وغفرانٌ لنا[3]

فهاتان المقطوعتان تجمعان بين معاني الحكمة والإرشاد والتوجيه، وهو ما يُحيي القلوب، ويُنير العقول، ويحثُّ على مكارم الأخلاق، ويهدي الإنسان إلى السداد في العقيدة والسلوك، وينبههُ من سِنَةِ الغفلةِ، ويرشده إلى نور الهداية والرشاد.

ومن حكمته أيضًا الأبيات التي كتبها على مقبرة في وادي كربلاء بعد أنْ طلب منه ذلك الحاج حسن الوكيل:

يا بني الدّنيا وطلّاب الحياة ... فأعلموا مِنْ بعدِ دُنياكم مماتْ
حيثُ كُنّا مثلكم في رِبعِها ... في قصورٍ باسقاتٍ شامخاتْ
فقضى الموتُ علينا حُكمَهُ ... فأنظرونا الآن في القبرِ رُفاتْ

(١) وردت الكلمة في الديوان (وارجو)، والصواب ما أثبتناه.
(٢) الديوان: ٧٢.
(٣) م.ن: ٦٥.

عـجِّـلـوا بـالـفـرضِ مـنْ قـبـلِ الـفـنـا ... وإلـى الـتـوبـةِ مـنْ قـبـلِ الـوفـاةْ
لـيـسَ يُـنـجـيـنـا وإيّـاكُـمْ سـوى ... إنْ أطَـعـنـا وَعَـمِـلـنـا الـواجـبـاتْ
غـيـر عـفـوِ الـلـهِ والـحـبِّ لِـمـنْ ... حـبُّـهُـمْ فـرضٌ وفـي الـحشرِ نـجـاةْ[1]

فقد عمد الشاعر إلى تصوير النفس البشرية، وما ستؤول إليه مهما طال الزمن أو قصر، فقد يكون الإنسانُ ناسيًا أو متناسيًا حتميّة الموت الذي يقف حائلًا بينه وبين ما تصنعه مخيلته من آمال وطموحات، وقد أكّدَ الشاعر أنْ ليس من مُنجي للإنسان يوم القيامة إلّا رحمة الله عزّ وجلّ، وعمله الصالح، وحبّه لآل البيت عليهم السلام.

٥. الرمضانيَّات:

وهي أشعارُ قالها الشاعر في فضل شهر رمضان، ومنزلتهُ بين الشهور، وما ينالـه الصّائم فيه مـن الأجر والثواب، من نحو قصيدته التـي قالها في فضلِهِ، وقد طُلِبَ منه قرأءتها في بعض المجالس:

الـحـمـدُ لـلـهِ الـعـلـيِّ الـشـآنِ ... إذ خـصّـنـا بـالـلـطـفِ والإحـسـانِ
بـصـيـامِ شـهـرٍ بُـورِكَـتْ أيّـامُـهُ ... رمـضـانُ شـهـرُ الـلـهِ والـغـفـرانِ
شـهـرُ بـهِ قـدْ وَعَـدَ الـرحـمـنُ أنْ ... يُـنـجـي بـرحـمـتـهِ مـنْ الـنـيـرانِ
الـصـائـمـيـنَ الـقـائـمـيـنَ بـأمـرِهِ ... أبـدًا ويُـسـكِـنَـهُـمْ فـسـيـحَ جِـنـانِ
شـهـرٌ بـهِ تـتـضـاعـفُ الـحـسـنـاتُ مِـنْ ... عُـمّـالـهـا والـسـيـئات لـكـلِّ فـردٍ جاني
لـو يـعـلـمُ الـلـهُ الأذى بـصـيـامِهِ ... مـا قـطُّ أوجَـبَـهُ عـلـى إنـسـانِ
صـومـوا تـصـحُّـوا قـالَ سـيّـدُ رُسْـلِـهِ ... وكـلامُـهُ يُـغـنـي عَـنْ الـتّـبـيـانِ
أنـفـاسُـنـا الـتّـسـبـيـحُ فـيـه ونـومُـنـا ... قـال الـنـبـيُّ عـبـادةُ الـدَّيّـانِ
ولـكُـلِّ شـخـصٍ فـيـهِ يـتـلـو آيـةً ... فـلـهُ ثـوابُ تـلاوةِ الـقـرآنِ

(١) الديوان: ٦٨.

طوبى لِمنْ في الشّهرِ فطَّر صائمًا يَحظى بحورِ العِينِ والولدانِ[١]

بيّن الشاعر في هذه الأبيات فضل شهر رمضان، وما خصّه الله فيه من التّشريف والتفضيل، وما حبا الناس فيه من رحمةٍ ومغفرةٍ، وقد توسّل إلى تبيان ذلك ببعض الآيات المباركة، والأحاديث الشريفة التي تُرسِّخ هذه المعاني في ذهن المُتلقّي.

وله أيضًا في مُناجاة الخالق في هذا الشهر الفضيل، والإمساك في وقتهِ:

اشربوا الماءَ هنيئًا مؤمنين وامسكوا مِنْ بعدهِ يا صائمين
أيُّها الصائم عنْ ماءٍ وزاد هو لطفٌ لكَ مِنْ ربِّ العباد
سوفَ نلقى الفوزَ في يوم المَعاد منْ إله الخلقِ ربِّ العالمين
أيُّها الصائم عنْ ماءٍ وزاد قدْ حُبِيتَ الخيرَ من ربِّ السّماء
فلكَ الأمنُ غدًا يومَ الجزاء مِنْ عذابٍ خصَّ فيه المُجرمين
قُمْ وناجيهِ ودَعْ طيبَ المَنام وتناولْ سَحَرًا طيبَ الطّعام
واشربْ الماء ولا تنسَ[٢] الإمام ظاميًا ما ذاقَ من ماءِ المَعين
شاءَ ربُّ العرشِ أنْ يقضي ظَما ويرى الآلِ عُطاشى جُثَّما
ويرى الطفلَ خَضيبًا بالدِّماج طاويَ الأحشاءِ دامي الودجين[٣]

فقد جعل الشاعر من ذِكْرِ فضائل شهر رمضان، ومن تبيانِ أجر معاناة الصائم فيه للجوع والعطش وسيلةً للتّذكير بمصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الكِرام في يوم عاشوراء، وما تجرَّعوه من حرارة الظّمأ التي قَطّعتْ أكبادهم، إذ لم يَسلمْ من ذلك حتى الطفل الرضيع، الذي قضى ظامئًا في حِجرِ والدِهِ، ومُخضّبًا بدمِ مَنحرِهِ بسهمٍ من سهام الغدر والعدوان.

(١) الديوان: ٥٤-٥٥.
(٢) ورد في الديوان (لا تنسى)، والصواب ما أثبتناه.
(٣) الديوان: ٥٣.

الخاتمة

في نهاية البحث يجدرُ بنا أنْ نُجمِلَ أَهمَّ النتائج التي تَوصّلَنا إليها؛ لتكمتلَ الفائدةُ ويعمَّ النَّفعُ، وهي على النحو الآتي:

١. كشف البحث عن إسهام الشيخ هادي الكربلائيّ في الحياة الأدبيّة في كربلاء، التي ازدهرت ازدهارًا ملحوظًا، ونهضَ الشعرُ إلى جانبها نهضةً واسعة، وتوافر على كثيرٍ من الخصائص المهمة، ما جعلهُ شعرًا يُعتدُّ به، ويحظى بمنزلةٍ سامية، ويتّسِمُ بالجَودةِ والغزارَةِ والتَّنوّعِ، ويقَف شامِخًا يصوِّرُ مجالات الحياةِ المُختلفةِ، ويُعبِّر عن نَوازع الشعراء في شَتّى ميادين الحياة.

٢. مثَّلتْ مدينة كربلاء إحدى المدن العربية والإسلامية الخالدة التي أنجبتْ طائفةً كبيرةً من رجال العلم والفكر والأدب، مِمَّن كان لهُ اليد الطولى في ميدان الأَدَبِ والبَلاغَةِ والبَيَانِ، وتَرَكوا بَصَمَاتهم الواضحة على الأَدَبِ العربي بصورة عامة، وعلى الشعر الشيعي بصورة أخص.

٣. كشف البحث أنَّ الشيخ هادي الكربلائيّ من بين الشخصيّات الكربلائيّة المرموقة التي مثّلتْ أنموذجًا للإنسان الاجتماعيّ الذي يتفاعل مع مجتمعهِ وبيئتهِ وعصرهِ، وقد ألقى ذلك بظلالهِ على شعرهِ، فكان شعره سجلًّا حافلًا بأحداثِ عصرهِ، ووثيقة تاريخية تصوّر علاقاتهِ الاجتماعية.

٤. تَبيّنَ أن الشاعر من الشخصيّات التي جمعتْ بين موهبتين؛ موهبة الشعر، وموهبة الخطابة، وتركَ بصماتَهُ الواضحة عليهما، وسخّرَ تلكَ الموهبتين (الخطابة والشعر) في خدمة قضية الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

٥. كان لعقيدةِ الشّـاعر الشيعيّة أَثَرُها الواضح على شعره، فكان وُسِمَ أغلبُ شـعرهِ بالطابعِ العقائدي، فكان كثيرًا ما يُلمِحُ إلى تلك العقيدة في طيّات قصائده، وأحيانًا كثيرة في خواتيمها.

٦. أظهرَ البحث تنوّع الأغراض الشعريّة في ديوان الشاعر، إلّا أنَّ ذلك لا يعني تشـابهها من جهة الكـمّ والنّوع، فقد تَفوَّقـتْ مجموعةٌ من الموضوعات الشـعريّة على أخرى، فتقدّم الرثـاء، والمديح، والإخوانيـات، والغزل، والشوق والحنين، والحكمة، على الوصف، والهجاء، والشكوى.

٧. ظهرتْ في شـعره بعض الموضوعات الشـعريّة التي لم تكُنْ سـائدةً في شـعر الشـعراء الآخريـن، كالرمضانيّـات، ولعلَّ مَـردَّ ذلك إلـى توجُّهِهِ الدينيّ، وميولِهِ إلى وعظ أفراد المجتمع وإرشادِهِ عن طريق تلك القصائد والمقطّعـات، فضلًا عن أنَّ مهنتَهُ الأساسـية هي الخطابة، والإرشـاد هو الهدف الأساسي والأسمى المنشود من تلك المهنة.

٨. تبيّن للباحثيْنِ أنَّ الشـاعرَ كان ذا ثقافةٍ واسـعةٍ، ومن مصاديق تلك الثقافة الواسـعة إجادته اللغة الفارسـية إلى جانب اللغة العربية، فضلًا عن ذلك أنّه نظم الشـعر الشعبيّ إلى جانب الفصيح، لكن طبيعةَ البحث لم تسمحْ بذكرِ شواهد منه.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب المطبوعة

١. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة دار الكتب العربية، مصر- القاهرة، ط١، ١٩٧٢م.

٢. حسن التوسُّل إلى صناعة التّرسُّل، شهاب الِّدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي (ت٧٢٥هـ)، مطبعة أمين أفندي هنديّة، مصر، ط١، ١٣١٥هـ.

٣. ديوان الشيخ هادي الخفاجي الكربلائيّ، جمعه واعتنى به الشيخ علاء الدين الكربلائي، مؤسسة البلاغ، ط١، ٢٠٠٣م.

٤. الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٤م.

٥. الرثاء في الشعر العربي، سراج الدِّين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت – لبنان، د.ت.

٦. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصَري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، قدّم له وشرحه ووضع فهارسه: د. صلاح الدِّين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٧. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٨. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٥٨م.

٩. الشيخ هادي الكربلائيّ مدرسة المنبر الحسيني، الشيخ علاء الكربلائي، دار الكتاب والعترة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

١٠. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٩٦١م.

١١. علم الأدب (علم الإنشاء والعروض)، لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت- لبنان، ط٢، ١٨٩٧م.

١٢. العُمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٥، ١٩٨١م.

١٣. الغزل في الشعر العربي، سراج الدِّين محمد، دار الراتب الجامعيّة، بيروت- لبنان، د. ت.

١٤. فنُّ المديح وتطوّره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت-لبنان، ١٩٦٢م.

١٥. فنون الشعر العربي في مجتمع الحمدانيين، د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨١م.

١٦. في الشعر العباسي؛ الرؤية والفن، د. عز الدِّين إسماعيل، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

١٧. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن شريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٥م.

١٨. كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١،

١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، د. ت.

٢٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدِّين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، قدّمه وعلَّق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٢١. المرثاة الغزلية في الشعر العربي، عناد غزوان، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٢. المُعجم الأدبي، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٢٣. المُعجم المُفصّل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٢٤. المُعجم المفصّل في اللغة والأدب، د. ميشال عاصي، دار العلم للملايين، لبنان، د. ت.

٢٥. منهاج البُلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد الأوسي القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

٢٦. موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم: رفيق العجم، تحقيق: د. علي وحروج، الترجمة الفارسيّة: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبيّة: د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٧. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب

النويري (ت٧٣٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٨. نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح: عبد الحميد بن هبه الله المعروف بابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

- مقدّمة القصيدة العربية في العصر الفاطمي (دراسة تحليلية)، فلاح عبد علي سركال، أطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

- https: //www.alsamim.com/topics/319